388

نزار قباني

و

رواد المسافة

أسرار وحكايا نجوم الفن مع نزار

A.M.

سامي كمال الدين

دار الكتاب العربي
القاهرة

http://www.maktbtna2211.com/

Friday
4/10/2013

روائع القصائد المغناة

الكتابة عنه أشبه بالحريق الذى ينشب فى كل ثيابك ولا تستطيع منه خلاصا. فهو حدوتة عشق عربية مرت على كل المدن المشرعة نوافذها للحب والموصدة نوافذها فى وجه الحب أيضا ..

عاش نزار حياته كلها يغنى للحب والحرية، وعاش مثله عبد الحليم حافظ باحثا عن الحب والحرية، فالتقت حنجرة عبد الحليم مع كلمات نزار، فأحدثت بركانا فى الأغنية العربية، وقبل حليم حمل صوت نجاة الهامس أشعار نزار الثائرة، وهناك قصص مثيرة وراء هذه الأغانى .. وحوار نادر بين عبد الحليم ونزار قبانى، كما يكشف الكتاب اللقاء السرى بين السنباطى ونزار قبانى ومجدى نجيب فى جروبى بالقاهرة.. وعلاقة عبد الوهاب وفايزة أحمد وفيروز وشادية وماجدة الرومى ولطيفة وأصالة وإلهام المدفعى وكاظم الساهر بنزار ..

كما يكشف الخلاف بين عبد الحليم وشادية على قصيدة متى غناها كاظم الساهر .. وماذا قال نزار قبانى لكاظم ... ويكشف فى حوار مع صباح قبانى سر العلاقة بين نزار ونجاة .. وهل كان نزار بطل قصيدة (لا تكذبى) .. وأسرار خاصة جدا تكتشف لأول مرة وتروى للمرة الاولى .

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
19

دار الكتاب العربى
دمشق القاهرة

I.S.B.N. 977-376-131-2
9 789773 761318

روائع
نزار قباني المغناة

سامي كمال الدين

الناشر
دار الكتاب العربي
بالقاهرة ودمشق

إهـــــداء

عمي / **إسماعيل محمد مسلم** - رحمه الله-
معلمي الأول في قريتي . . .
وأول من أهداني كتابًا لنزار قباني . . .

سامي كمال الدين

مقدمة

الكتابة عنه أشبه بالحريق الذي ينشب في كل ثيابك ولا تستطيع منه خلاصاً، فهو حدوتة عشق عربية مرت على كل المدن المشرعة نوافذها للحب والموصدة نوافذها في وجه الحب أيضاً..

عاش نزار قباني حياته كلها يغني للحب وللحرية مؤمناً بقناعات خاصة داخله أنه لابد وأن يأتي ذلك اليوم الذي تتحرر فيه المرأة ويتحرر فيه الوطن من سجون الكبت والقهر التي غرسها فيه استعمار أجنبي وعثماني جاء إلى البلاد بحجة تحريرها فزادها أغلالاً.

عاش مثله عبد الحليم حافظ باحثاً عن الحب والحرية فالتقى صوته مع كلمات نزار قباني فأحدث بركاناً في الأغنية العربية.. وزادت الأغنية العربية بهاءً ورونقاً حين تغنى عديدين بكلمات نزار قباني مثل حليم ونجاة وفايزة أحمد وفيروز وماجدة الرومي وكاظم الساهر.

ومثلما كان حلماً أن ألتقى نزار قباني ذات يوم فقد كان حلماً أن أشرع في الكتابة عنه.. فما بالك بالكتابة عن عهد من التفرد عاشته أغنيات نزار على شفاه قمم في تاريخ الأغنية العربية ولكن للأسف عديدين تناولوا هذه الأسماء في كتب وموضوعات صحفية فأساءوا لها بل وأساءوا إلى نزار قباني نفسه فحين تجد مئات الكتب الملقاه على الأرصفة والتي تخبرك أنها جاءت بالذئب من ذيله في حياة وأغاني نزار قباني وتشتري الكتاب حباً في نزار ولاتجد فيه سوى مقدمة لا تثمن ولا تغني من جوع وباقي الكتاب مجموعة من أشعار نزار قباني موجودة بالأساس في أعماله الشعرية والنثرية..

وقد حاولنا في هذا الكتاب أن نقدم شكلاً مختلفاً فلم يكن يعنينا سوى رد الجميل إلى نزار قباني ومن تغنوا بكلماته فأعطونا متعة لا تتكرر إلا مع أعمالهم والغريب أنك لا تجد عملاً واحداً مغنى لنزار قباني غير ممتع وقد يعود هذا إلى

إيقاع الجملة في كتاباته فتحس أنك أمام مقطوعة موسيقية لموتسارت.. وهذا يعود إلى حب نزار للموسيقى فقد كان في بداية حياته يريد أن يكون موسيقياً بعدما لم يجد نفسه في الرسم حيث رأى أن الرسم نزوة، ولم تستطع لوحاته أن تمتص ذبذبات نفسه «واستمر البلبال يحفرني من الداخل.. كنت أشعر أن اللون لا صوتَ له.. وأنه طفل جميل لكنه أخرس..

وفي الرابعة عشرة، سكنني هاجس الموسيقى، ظننتُ أن عالم الأصوات أرحب وأغنى، وأنه - بخلاف عالم الخطوط - يستطيع أن يكون باب الخلاص.

إتفقت مع معلم الموسيقى (السولفيج). وفي الدرس الثاني شعرت أن (السولفيج) كجدول الجمع والطرح علم أبله.. يستند إلى المعادلات والأرقام الحسابية.. ولما كان علم الحساب يروعني.. فقد قرَّرت أن أوقف الرحلة من بدايتها.. ورميت آلتي، وقطعت أوتاري، وسقطت في حيرتي من جديد».

ورغم فشل التجربتين - الرسم والموسيقى - في حياة نزار قباني إلا أنهما لعبتا دوراً أساسياً وهاما في تكوينه الفني وفي تشكيل لغته الشعرية حيث يقول في سيرته الذاتية: «لقد كنتُ في المراحل المتقدمة من الكتابة أشعر أنني أرقص على الدفاتر ولا أكتب عليها.. ففي.. (أنتِ لي) و(سامبا) كانت تستولي عليَّ حالة موسيقية تدفعني في أكثر الأحيان إلى أن أغني شعري بصوتٍ عالٍ، كما كان يفعل الشاعر الأسباني لوركا.

كانت حروف الأبجدية تمتد أمامي كالأوتار،والكلمات تتموج حدائق من الإيقاعات. وكنت أجلس أمام أوراقي كما يجلس العازف أمام البيانو، أفكر بالنغم قبل أن أفكر بمعناه، وأركض وراء رنين الكلمات قبل الكلمات..

كانت جملة فاليري «الموسيقى ولا شيء غير الموسيقى» تلاحقني باستمرار عندما أكتب.. وكنتُ أعتبر القصيدة نوعاً من التأليف الموسيقي.

إن (سامبا) على سبيل المثال، هي عمل من أعمال الموسيقى الصرفة، وإذا جردناها من ثوبها الموسيقي لا يبقى منها شيء..

بعد هذه المرحلة، ركبني هاجسُ الخطوط والأشكال. وصارت الحروف عندي تأخذ أشكالاً مختلفة، فهي مرةً خطوط مستقيمة، ومرة خطوط منكسرة، ومرةً خطوط منحنية.

وللمرة الأولى، صرت أفكر هندسياً، وصارت القصيدة عندي عمارة أخطط لها كأي مهندس معماري.

بعبارة أخرى صرت (أرسم بالكلمات)».

والمتتبع لحديث نزار قد يستنتج أنه كان يخطط أثناء كتابته القصيدة، أي كان يعتمد على الضعة، وهذا ليس حقيقياً ولكن كان جنون الفن والابداع يركبه وكان يبحث عن ذاته كنبتة صغيرة تحاول الوقوف على قدميها ولكنها تضل الطريق ولا تعرف أي نهر تستطيع منه أن تشرب ولا عنوان المكان الذي تنبت فيه، هي تنتظر حتى تصير عفية لتؤكد وجودها ولتتأكد أنها لم تضل طريقها.

وأذكر أن الدكتور صباح قباني - شقيق الشاعر الراحل - قال لي في أحد لقاءاتي معه في بيته في حي «غرب المالكي» بدمشق أنه قال لمحمد عبد الوهاب أن نجاة هي أفضل من تغني «أيظن» كما قال لي أن عبد الوهاب كان مندهشاً من روعة الموسيقى التي تحملها قصائد نزار قباني.. ويؤكد هذا قول الموسيقار محمد عبد الوهاب أن «الفرق بين نزار قباني وغيره من الشعراء القدامى.. أن شعر نزار ببساطة أسلوبه وألفاظه أصبح شعراً جماهيرياً لا يحتاج إلى غنائه مثل الشعر القديم الذي كان لا يصل للجماهير إلا عن طريق الغناء. والشعر قبل نزار كان لا يقرؤه ويفهمه ويستمتع به إلا المثقفون.. وجاء نزار ونظم شعراً يقرؤه ويفهمه ويستمتع به المثقفون وغير المثقفين على السواء»

ولعل هذا ليس هو القول الوحيد لعبد الوهاب في نزار ولكن هناك أحاديث كثيرة تحدث فيها عنه مثلاً قوله «الشاعر نزار قباني ينظم الشعر بعينيه لا بقلبه، فهو مصور، أشعاره لوحات جميلة بأسلوب جذاب بسيط ورشيق. لم أشعر في شعره بانتفاضة قلبه، أو بمأساة عاشها، أو مشكلة مر بها.. واعتصرت قلبه، أو صاغها شعرا.

إنه مصور، وقد كشف هو عن نفسه، فقد أصدر ديواناً من الشعر، عنوانه (الرسم بالكلمات)..

إنه عندما ينظم بلسان المرأة، فإنه يرى مشاكلها، ويرقبها بدقة، ويصورها نظماً، لأنه يحس بإحساس المرأة بصدق. وأنا لم أقرأ له شعراً حزيناً أو به من الشجن ما يجعلني أحس بأنه التاع وسهر وبكى.. إنه رسام بالكلام. كما قال هو.

إن نزار عندما يعاني من مشكلة ينفصل منه نزار آخر يرقبه في محنته، ويسجل عليه تصرفاته.. ثم بعد ذلك ينضم إليه ليصبح نزار الشاعر يكتب ما رآه شعراً.

إن نزار يخاطب المرأة والحب كأنه امبراطور يأمر فيطاع، وأنه يتفضل على الحب والمرأة بما يجود به.

لم أشعر ولم أتصور أبداً أن نزار يجثو أمام محبوبته أو يتذلل أمامها، إنه أرفع من هذا، إنه ليس بإنسان يلتاع ويهيم.. إنه أكبر من ذلك.

وقد أعجب نزار بشكل خرافي بهذا الكلام وقال أنه دقيق جداً وصحيح جداً وأنه لم يكتب مثله أكبر نقاد الأدب.بل وسأل نهلة القدسي زوجة عبد الوهاب كيف استطاع زوجها أن يكتشفه وسلط الضوء على عالمه الداخلي فقالت له «لا تستغرب يا نزار ما قاله، لأنه كان يكتب عن نفسه.. فإذا كنت رساماً بالكلمات فهو رسام بالأنغام».

وفي الحقيقة لعبت الأغنية دوراً كبيراً في زيادة انتشار شعر نزار قباني حيث تغنى بها عبد الحليم حافظ وفيروز ونجاة.. ولكنها في عصرنا لعبت دوراً مهماً في تحقيق انتشار أكبر للمطرب مثل كاظم الساهر فتخيل كاظم بدون أغاني نزار، بالطبع سينقصه الكثير والكثير جداً رغم أن كاظم صوت رائع ونادر.. فصوت كاظم مع كلمات نزار البسيطة والقريبة من الحديث اليومي للناس والدفء الذي فيها والرقة والعذوبة يقدمان - بالتأكيد - عملاً ناجحاً ومتميزاً.. وقد بدأت علاقة نزار بكبار الملحنين والمطربين حين كان يعمل في السفارة السورية بالقاهرة عام ١٩٤٥ حيث تعرف إلى كامل الشناوي ومحمد عبد الوهاب وأحمد رامي وعباس العقاد وتوفيق الحكيم ومحمود السعدني ورجاء النقاش، ولكن هناك كثيرون يعتقدون أن

«أيظن» هي أول قصيدة تغنى لنزار، لكن كانت هناك قصيدة لحنها ملحن سوري وقدمت في الإذاعة السورية عام ١٩٥٩ ولم تنجح.. وهناك قصيدة لماذا التي قدمتها المطربة اللبنانية «زكية حمدان» وهي من جيل فيروز وصباح وتغني الطرب المصري على الطريقة القديمة ورغم أن صوتها قوي ومتميز إلا أن الأغنية لم تذع كثيراً. وحين بدأ نزار يدخل إلى الوسط الفني كان على القمة كامل الشناوي بحضوره وتوهجه ونضجه ورقي كلماته الشعرية وسخريته وجلساته التي لا تنتهي، والغريب أنه جعل بنفسه نزار منافس له حيث أخذ نزار وقدمه إلى محمد عبد الوهاب لأن كامل الشناوي كان نوعاً نادراً من البشر لا يتكرر الآن.. كان يكتشف المواهب ويساعد الجميع ولا يبخل على أحد بالنصيحة.. وقد حقق نزار شهرته وانطلاقته من مصر.. وإذا أردت أن تعرف باقي القصة فاقلب الصفحة، ولكن قبل أن تودعها إقرأ معي ما كتبه ذات يوم الكاتب الساخر حسام حازم عنه «كانت له رقة عبد الحليم وأناقة إحسان عبد القدوس وثورة يوسف إدريس وطيش أحمد رمزي وإنسانية مصطفى أمين وشمولية عادل إمام، كان نزار قباني - كما يقول توفيق الحكيم - الكل في واحد!!».

الكثير يعتقدون أن «أيظن» كانت فاتحة الباب لخروج قصائد نزار قباني من ثيابها المزركشة حيث دواوينه التي لفها في ورق سلوفان وتعطيرها ومنحها سماوات أوسع من خلال صوت نجاة الصغيرة الدافئ..

كان نزار قباني قد حقق مجداً شعرياً يذكر وثبت أقدامه على أرض قوية، فقد مر ما يزيد على العشرون عاماً على كتابة الناقد الكبير أنور المعدواي لمقاله «طفولة نهد» في مجلة الرسالة في الأربعينيات، الذي حوله صاحب الرسالة أحمد حسن الزيات إلى طفولة نهر حسبما قال نزار: «كانت القاهرة أول بعثة دبلوماسية أذهب إليها. وصلت إليها شاباً في الثانية والعشرين من العمر، وقضيت فيها ثلاث سنوات (١٩٤٥ - ١٩٤٨).

للقاهرة عليّ فضلُ الربيع على الشجر. وبصمات يديها ترى واضحة على مجموعتي الثانية (طفولة نهد) المطبوعة في القاهرة عام ١٩٤٨ .

«طفولة نهد» كانت نقلةً حضاريةً هامة بالنسبة لشعري. فلقد صقلت القاهرة أحاسيس وعييّ، ولغتي الشعرية، ومرَّرتني من الغبار الصحراوي المتراكم فوق جلدي.

كانت القاهرة في الأربعينيات زهرة المدائن،وعاصمة العواصم العربية، وكانت بستاناً للفكر والفن عزَّ نظيره.

وقد أسعدني أن أدخل الوسط الأدبي والفني والصحفي من أعرض أبوابه، وأعرف صفوة أعلامه، تعرفت إلى الأستاذ توفيق الحكيم، والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني، والموسيقار محمد عبد الوهاب، والشاعر كامل الشناوي، والشعر إبراهيم ناجي، والشاعر أحمد رامي، والأستاذ محمد حسنين هيكل، والناقد المرحوم الأستاذ أنور المعداوي.

ولأنور المعداوي، يعود الفضل في إلقاء الأضواء الأولى على شعري، فقد كان رحمه الله، شديد الحماسة لمجموعتي الشعرية (طفولة نهد) لدى صدورها في القاهرة عام ١٩٤٨، وبلغ من شدة حماسته لها أن أقنع الأستاذ أحمد حسن الزيات، صاحب مجلة (الرسالة) المصرية- وكان يقدر موهبة المعداوي ويحترمه - أن ينتشر على صفحات (الرسالة) التي كانت أعظم منبر أدبي في العالم العربي، نقد لكتابي (طفولة نهد).

ومن أطرف ما حدث - ولعله أطرف حادث مر بحياتي الأدبية - أن مقال

المعداوي صدر في (الرسالة) كما كان مقرراً. ولكن الأستاذ الزيات رأى حرصاً على سمعة (مجلة الرسالة) الرصينة المحافظة، أن يغير عنوان مجموعتي الشعرية من (طفولة نهد) إلى (طفولة نهر).. وبذلك أرضي صديقه الناقد أنور المعداوي.. وأرضي قراء (الرسالة) المحافظين الذين تخيفهم كلمة (النهد) وتزلزل وقارهم.. ولكنَّه ذبح اسم كتابي الجميل من الوريد إلى الوريد».

و«أيظن» لحنها محمد عبد الوهاب وأسمع اللحن لنجاة التي طارت به فرحاً وأرادت أن تغني هذه القصيدة بأي شكل، لكن هناك ما يمنعها وبقوة..

كانت نجاة تعمل مع شركة «مصرفون» لصاحبها الفنان محمد فوزي، وكان عبد الوهاب يعمل في شركة صوت الفن التي يمتلك أسهمها هو وعبد الحليم ووحيد فريد، لكن أمام انبهار نجاة باللحن هاتفت الفنان محمد فوزي والتقت به وشرحت له المسألة ولأنه كان فناناً من طراز نادر فقد كتب له موافقة استثنائية على أن تغني هذه الأغنية، وبالفعل سجلتها نجاة بصوتها لصالح شركة صوت الفن فتفجرت الأغنية في العالم العربي وكأن هناك عيداً في الوطن العربي كله.

كان عبد الوهاب وقتها شريكاً - أيضاً في شركة «كايروفون» لصاحبتها إيزابيل بيضا» التي ألحت على محمد عبد الوهاب بأن يغني «أيظن» بصوته فقال لها عبد الوهاب: كيف تريدين مني أن أغني قصيدة تقول حتى فساتيني التي أهملتها فرحت به.. فقالت له السيدة إيزابيل بيضا: ولا يهمك.. نغير بيت الشعر يصبح: «حتى بناطيلي التي أهملتها»!!

بعد مرور زمن كبير غنى عبد الوهاب القصيدة التي كان يغنيها كثيراً لأصدقائه في جلساتهم الخاصة ووزعت بـ «حتى فساتيني وليست بناطيلي» كما كانت ترى إيزابيل بيضا.

ولعلي أكشف سراً لأول مرة يخص «أيظن» ولا أزيد.. حيث تحدثت مع الصديق الدكتور صباح قباني في دمشق وقلت له أن قاهرة الستينيات أشاعت قصة حب بين نجاة وبينك وليس شقيق نزار.

بعد صمت المتأني قال لي: كل هذا الكلام إشاعات سخيفة ضدي وضد أخي، بل واتهموني بأني بطل قصيدة «لا تكذبي» للشاعر كامل الشناوي، وهذا غير حقيقي أيضاً.. فقد كنت ونجاة على علاقة صداقة قوية وقدمت قصيدة «أيظن» إلى عبد الوهاب ورشحت صوت نجاة لغنائها.. وفاتحت عبد الوهاب في قصة هذه الإشاعات وخفف عني كثيراً وقتها.

* * *

نزار قباني من الطفولة إلى الرحيل

قـبل الدخـول إلى عـالم «أيظن» الســاحـر لابد من طرق أبواب سـيـرة الأمـيـر الدمشقي نزار قباني رغم أنه وضع إشارة حمراء عام ١٩٧٠ حين كتب في مقدمة كتابه «قصتي مع الشعر»:

«أريد أن أكتب قصتّي مع الشعر قبل أن يكتبها أحد غيري..

أريد أن أرسم وجهي بيدي، إذ لا أحد يستطيع أن يرسم وجهي أحسن مني.

أريد أن أكشف الستائرعن نفسي، قبل أن يقصّني النقّاد ويفصلوني على هواهم، قبل أن يخترعوني من جديد.

ثلاثة أرباع الشعراء من فيرجيل، إلى شكسبير، إلى دانته، إلى المتنبي، من اختراع النقاد، أو من شغلهم وتطريزهم على الأقلّ.

ومن سوء حظ الشعراء القدامى،أنهم لم يكونوا يمتلكون دفاتر مذكرّات.

أما أنا فهذا هو دفتر مذكراتي، سجّلتُ فيه كلّ تفاصيل رحلتي في غابات الشعر»

ونزار محق مائة بالمائة فأغلب مبدعينا خرجت آلاف الروايات عن حياتهم أغلبها يخالف الحقيقة.. ولكن كتابة المذكرات تواجه مشكلة عصية على الحل في عالمنا العربي وهي الصراحة المطلقة والتخلص من النرجسية والآنا.. فأغلب من كتبوا مذكراتهم كتبوها ببرواز خارجي لتزيين صورتهم وليس لكتابة الواقع وتعلم الآخرين من تجاربهم..

وقد ولد نزار قباني في مارس (آذار) ١٩٢٣ في بيت من بيوت دمشق القديمة حي الشاغور في مئذنة الشحم الذي تعبر في ذهابك إليه سوف الحميدية وسوق مدحت باشا.. وكانت سوريا وقتها تحت الانتداب الفرنسي، وكان والده إلى جانب عمله في صناعة الحلوى يشارك في المظاهرات ويخطط للانقلابات لطرد المحتل الغاصب. «كان أبي إذن يصنع الحلوى ويصنع الثورة. وكنت أعجب بهذه الازدواجية

فيه، وأدهش كيف يستطيع أن يجمع بين الحلاوة وبين الضراوة».

كان نزار الولد الثاني بين أربعة صبيان وبنت، هم المعتز ورشيد وصباح وهيفاء.. وكان ينتمي إلى الطبقة المتوسطة، وكان لوالده معملاً في زقاق معاوية حيث كان يصنع فيه الحلوى ويستخدم الفحم في صناعة الحلوى ولم تكن الأدوات الحديثة قد حلت بعد.

ولعل أجمل ما في نشأة نزار هو ذلك البيت الدمشقي الرائع الذي يصفه بقوله: «بوابة صغيرة من الخشب تفتح.. ويبدأ الإسراء على الأخضر، والأحمر، والليلكي، وتبدأ سمفونية الضوء والظل والرخام.

شجرة النارنج تحتضن ثمرها. والدالية حامل، والياسمينة ولدت ألف قمر أبيض وعلقتهم على قضبان النوافذ.. وأسراب السنونو لا تصطاف إلاَّ عندنا.

أسُود الرخام حول البركة الوسطى تملأ فمها بالماء.. وتنفخه.. وتستمر اللعبة المائية ليلا نهارا.. لا النوافير تتعب.. ولا ماء دمشق ينقص.

الورد البلديّ سجَّاد أحمر ممدود تحت أقدامك.. والليلكة تمشط شعرها البنفسجي، والشمشير، والخبيزة، والشاب الظريف، والمنثور، والريحان، والاضاليا.. وألوف النباتات الدمشقية التي أتذكَّر ألوانها ولا أتذكر أسماءها.. لاتزال تتسلق على أصابعي كلمَّا أردت أن أكتب..

القطط الشامية النظيفة الممتلئة صحةً ونضارة تصعد إلى مملكة الشمس لتمارس غزلها ورومانتيكيتها بحرية مطلقة، وحين تعود بعد هجر الحبيب ومعها قطيع من صغارها ستجد من يستقبلها ويُطعمها ويكفكف دموعها.

الادراج الرخاميَّة تصعد.. وتصعد.. على كيفها.. والحمائم تهاجر وترجع على كيفها.. ولا أحد يسألها ماذا تفعل؟ والسمكُ الأحمر يسبح على كيفه.. ولا أحد يسأله إلى أين؟

وعشرون صفيحة فُلّ في صحن الدار هي كل ثروة أمي. كلُّ زرّ فُلٌّ عندها يساوي

حبيباً من أولادها.. لذلك كلما غافلناها وسرقنا ولداً من أولادها.. بكتْ.. وشكتنا إلى الله.

ضمن نطاق هذا الحزام الأخضر.. ولدتُ وحبوتُ، ونطقتُ كلماتي الأولى..

كان اصطدامي بالجمال قدراً يومياً. كنتُ إذا تعثرت أتعثَّر بجناح حمامة.. وإذا سقطتُ أسقطُ على حضن وردة».

رجل ينشأ في أحضان الجنة فكيف لا نريد له أن يكون شاعراً.. وهو يسكن بين شفاه الورود وأحضان القطط الشامية ويرقد على الادراج الرخامية متأملاً.

لم يكن يهوى الخروج إلى المقاهي أو اللعب مع الرفاق في الحارات أو التسكع على أرصفة الشوارع.. كان هذا البيت هو العالم كله بالنسبة لنزار قباني، حيث يجلس إلى أبيه في صحن الدار أمام قهوته وعلبة تبغه وجريدته، وهو يذاكر دروسه ويحفظ قصائد عمرو بن كلثوم وزهير والنابغة الزبياني وطرفة بن العبد..

وينتمي نزار إلى عائلة أبو خليل القباني عم والده الذي كان أعجوبة عصره، والذي ما جلست مرة إلى صديقي المتميز الفنان السوري الكبير جمال سليمان إلا وكان لأبي خليل قباني قسط وافر من حديثنا حيث يحفظ جمال سليمان حياته وأعماله عن ظهر قلب ويتمنى تقديم عمل مسرحي عنه.

كان أبو خليل القباني يريد تحويل حانات دمشق التي كانت تزرب فيها الدواب إلى مسارح.. ويجعل من دمشق المحافظة التقية، الورعة.. (برودواي) ثانية حسب قول نزار قباني

وأبي خليل كان رائداً في تأليف الروايات المسرحية وإخراجها وتمثيلها وكتابة السيناريو الخاص بها وتصميم الأزياء وتلحين كلام المسرحيات وكتابة الشعر باللغة الفارسية.. بل وكان يترجم عن الفرنسية لموليير..

ولكم أتمنى أن أفرد كتاباً عن حياة هذا الرجل وأعماله.. ولابد أن أتعرض له لنعرف اللوثة الوراثية الرائعة التي أصابت نزار قباني

فقد ولد الشيخ أحمد أبو خليل القباني عام ١٨٤١ في دمشق وكان اسم أسرته

«آفيين» وهـي كلمة تركيـة تعني «الشـارب الأبيض».. وقـد أنشـاء أبي خليل مسـرحاً تمثيلياً عـربياً وكان هو صاحب اللبنـة الأولى في المسرح العربي عامة.. وكانت بدايته المسـرحيـة تعتمد على التـراث العـربي مثل «ألف لـيلة وليلة» التي قدم منها مسـرحياً روايات «ناكر الجميل» و«أنيس الجليس» و«هارون الرشيد».

ألبس أبو خليل الصبـيـة مـلابس النسـاء ليقـوموا بأدوار النسـاء في مسـرحـيـاته وأسند لهم الأدوار النسـائيـة، حيث لم تكن هناك نسـاء لتمـثل وهنا هب رجـال الدين في دمشق وقـاومـوه بكل مـا يملكون من وسـائل.. وأطلقـوا ورائه الصـبـيـة ليشـتـمونه ويقـذفونه بالحـجـارة وهـجوه بـأقذع الشـعـر، وكعـادة الفنان الدءوب المثابر الذي يصـر على ابداعـه ظل أبي خليـل القبـاني صـامـداً، وظلت مسـرحيـاته تعـرض في حـانات دمشق.. ولما لم يجـد رجـال الدين ومن ذوي النظرة الضـيـقـة للفن حيلة يمنعـونه بهـا اجتمعوا بـ «رابطة المعلم» وذهبوا إلى الآسـتانة وقابلوا السلطان وأخبروهُ أن أبا خليل القبـاني يشكل خطراً على مكارم الأخـلاق والدين والدولة وعـرش السلطان وأن «أمن الدولة» يهتـز ببـقـاء هذا الـرجل ومـسـرحه.. بل وصلوا إلى الحـد الذي قـالوا فـيـه للسلطـان أنه لو بقى هذا الـرجل فسـوف تسقط خـلافة آل عثمـان.. وصـدر فـرمـان بإغلاق أول مسرح طليعي عرفه الشرق وغادر أبو خليل دمشق إلى مصر..

كـان ذلك عـام ١٨٨٤ حيث رحل إلى مصـر وهـو لا يملك إلا دمـوعـه المتسـاقطات وجـوقة من المنشـدين والعازفين والمشخصين.. ووجد في مصر حضناً دافئاً كعادتها فكون النواة الأسـاسيـة للمسـرح العربي وجـاءت أعمـاله المتميزة «الأمير محمـود نجل شـاه العـرب» و«نفح الربى» و«ولادة أو عـفـة المحـبين» و«الخل الوفي» و«بـاب الغـرام» و«عنترة» و«مجنون ليلى» و«صـلاح الدين» و«مطامع النسـاء» وقد عرض أول مسـرحية على قهـوة الدانـوب في مـدينة الاسكندرية يوم الاثنين ٢٣ / ٦ / ١٨٨٤ وبعـدها وظل يعـرض مسـرحيـاته على قـهـوة الدانوب حتى ٣١ / ٧ / ١٨٨٤ حـيث عـرض أنيس الجليس على مسرح زيزينيا بالاسكندرية ثم عاد ليعرض عليها مرة أخرى يوم السبت ٢٧ / ٩ / ١٨٨٤ وحتى جاء إلى القاهرة ليعرضها ومعها عدة مسـرحيات أخرى كما

السابق على مسرح «البوليتياما» بالقاهرة في ٢٣ / ١٠ / ١٨٨٤ .. ولم يتوقف أبي خليل عند القاهرة فقد عرض في طنطا وفي المنصورة وسافر إلى المنيا وإلى الفيوم وإلى بني سويف أيضاً.. كانت هوايته صناعة الابداع والذهاب به إلى أي مكان كما كان يفعل حفيده نزار قباني، بل وسافر أبي خليل إلى دول عربية وأجنبية ليقدم فنه مثل تركيا وأمريكا.. ويجيء القرن العشرين الذي يعود في بدايته أبي خليل إلى رحمه.. إلى دمشق ويظل فيها عدة سنوات حتى يرحل عام ١٩٠٥ .

ويمتلك أبي خليل مقدرة فائقة على التصوير ووصف لوعة الحبيب وشوقه مثل حفيده نزار، وفي رواية «حيل النساء» التي قدمها أبي خليل يدور هذا الحوار بين البطلة أوجين والبطل جان

(تدخل أوجين)

أوجين: جان أنت هنا؟

جان: نعم والذي سواك يا طلعة البدر

ويا شمس حسن بددت غياهب الهجر

أنا هنا مشتاق إلـــيك، وحافـــظ

ودادك يا ذات الجـمـال مدى العـمـر

أبيت وقلبي بالصبـــابة مغـــــرم

وأوصـــافك العـذرا تـردد في فكري

جمـــالك ريحاني وقربك راحتي

وحـبك خمـري والغـرام بك سكري

عشقتك يا أوجين من عـــهد نشأتي

فشب معي وجدي وشاب الهوى العذري

أساكنة في القـــلب والـــقلب مفعم
بنار الجـــوى أني نجـــوت من الحـــر
بربك أوجـــين هبـــيني ابتسامـــــة
بهـــا ينطفي مـــا في الفـــؤاد من الجمـــر

وجاء حفيدة نزار ليؤسس دولةً غرامية للعشق بعد رحيل جده بثمانية عشرة عاماً وحين يكبر ويحاول أن يكون مثل جده يحاول رجالات دمشق أن يضربونه بالحجارة ويطردونه أيضاً.

المكان: مجلس الأمة السوري

الزمان: ١٩٥٤

الحدث: نزار قباني كتب قصيدة اسمها «خبز وحشيش وقمر»..

القرار: المطالبة بمنع هذه القصيدة ومحاسبة هذا المارق وسجنه..

كانت القصيدة تحمل مفردات جديدة ولغة مختلفة عن السائد وتهاجم إيمان الناس بالخرافة واتكالهم.. ويبدو أنه كان متأثراً بكتابات اليسار في بداياته كما أن بالقصيدة روح ثورية حالمة حيث يقول فيها نزار:

«١»

عندما يولد في الشرق قمر
فالسطوح البيض تغفو
تحت أكداس الزهر
يترك الناس الحوانيت؟ ويمضون زُمر
لملاقاة القمر
يحملون الخبز.. والحاكي.. إلى رأسِ الجبالْ

ومعدات الخدر
ويبيعون؟ ويشرونَ خيال
وصُوَرْ
ويموتون إذا عاشَ القمر

«٢»

ما الذي يفعله قرص ضياءْ؟
ببلادي . .
ببلاد الأنبَياء
وبلادِ البسطاء
ماضغي التبغ؟ وتجار الخَدَر
ما الذي يفعله فينا القمر؟
لكسالى ضعفاء
يستحيلون إلى موتى إذا عاش القمر
ويهزون قبور الأولياء
علَّها ترزقهم رُزاً وأطفالاً . .
قبور الأولياءْ
ويمدون السجاجيد الانيقات الطُرر
يتسلون بأفيون نسيمه . . .
في بلادي،
في بلاد البسطاء

«٣»

أي ضعف وانحلال
يتولانا إذا الضوء تدفق
فالسجاجيد. . وآلاف السلال
وقداحُ الشاي
والأطفال
تحتل التلال
في بلادي
حيث يبكي الساذجون
ويعيشون على الضوءِ الذي لا يبصرون
في بلادي. .
حيث يحيا الناسُ من دون عيونْ
حيث يبكي الساذجون
ويحيون اتكال
منذ أن كانوا. .
يعيشون اتكال
وينادون الهلال
«يا هلال:
أيها النبع الذي يمطر ماسْ
وحشيشاً. . ونعاس

أيها الليل الرخامي المعلق
أيها الشيء الذي ليس يصدق
دمت للشرقِ . . لنا
عُنقود ماسْ . .
للملايين التي قد عُطِّلتْ فيها الحواسْ . . »

«٤»

في ليالي الشرق لما يبلغ البدر تمامه من
يتعرى الشرق من كُلِّ كرامَهْ
ونضال
فالملايين التي تركض من غير نعالِ
الملايين التي لا تلتقي بالخبز إلا في الخيال
والتي تسكن في الليل بيوتاً من سُعالِ
أبداً ما عرفت شكل الدواءْ . .
تتردى جثثاً تحت الضياء
في بلاد . . حيث يبكي الأغبياءْ
ويموتون بطاء
كلما طالعهم وجهُ الهلالِ
ويزيدون بكاء
كلما حركهم عودٌ ذليل . . و«ليالي»
ذلك الموتُ الذي ندعوه في الشرق «ليالي» . . وغناءْ

في بلادي في بلاد البسطاءْ
حيثُ نجترُ التواشيح الطويله
ذلك السُلُّ الذي يفتك بالشرق.. التواشيحُ الطويله
شرقنا المجترٌ تاريخاً وأحلاماً كسوله
وخرافات خوالي..
شرقنا الباحث عن كُلٍّ بطوله
في أبي زيد الهلالي..

درس نزار في (مدرسة الكلية العلمية الوطنية).. دخلها وعمره ٧ سنوات وخرج منها وعمره ١٨ عاماً حاصلاً على شهادة البكالوريا القسم الأدبي (الثانوية العامة) ثم انتقل إلى مدرسة التجهيز حيث حصل على شهادة البكالوريا الثانية (قسم الفلسفة).. وقد دخل المدرسة العلمية أخوته أيضاً معتز ورشيد وصباح وهيفاء، وكانت اللغة الثانية هي الفرنسية نظيراً للانتداب الفرنسي على دمشق.. وتعلم من أستاذه خليل مردم بك الكثير من دروس الشعر والأدب، وقد ولدت أول قصيدة لنزار عام ١٩٣٩ حين كان ذاهباً في رحلة مدرسية إلى بيروت ثم ايطاليا على متن السفينة ثم اندلعت الحرب العالمية الثانية وحصل نزار وقتها عام ١٩٤٥ من الجامعة السورية على الليسانس في الحقوق..

وقد أتقن نزار عدة لغات حيث تعلم الإنجليزية أثناء عمله بالسفارة السورية في لندن (١٩٥٢ - ١٩٥٥).. وتعلم الأسبانية خلال عمله الدبلوماسي في مدريد (١٩٦٢ - ١٩٦٦).

أما الحب فله مع نزار قصص وحكايات أولاها محزن.. حيث شاهد الحب على هيئة جثة في أخته وصال «كل أفراد الأسرة يحبون حتى الذبح.. وفي تاريخ الأسرة حادثة استشهاد مثيرة سببها العشق..

الشهيدة هي أختي الكبرى وصال. قتلت نفسها بكل بساطة وبشاعرية منقطعة

النظير.. لأنها لم تستطع أن تتزوج حبيبها..

صورة أختي وهي تموت من أجل الحبّ.. محفورة في لحمي. لا أزال أذكر وجهها الملائكي، وقسماتها النورانية، وابتسامتها الجميلة وهي تموت..

كانت في ميتتها أجمل من رابعة العدوية.. وأروع من كليوباترا المصرية..

حين مشيت في جنازة أختي.. وأنا في الخامسة عشرة، كان الحب يمشي إلى جانبي في الجنازة، ويشدّ على ذراعي ويبكي..

وحين زرعوا أختي في التراب.. وعدنا في اليوم التالي لنزورها، لم نجد القبر.. وإنما وجدنا في مكانه وردة..

هل كان موت أختي في سبيل الحبّ أحد العوامل النفسية التي جعلتني أتوفر لشعر الحب بكل طاقاتي، وأهبه أجمل كلماتي؟

هل كانت كتاباتي عن الحبّ، تعويضاً لما حُرمت منه أختي، وانتقاماً لها من مجتمع يرفض الحب، ويطارده بالفؤوس والبنادق؟

أنني لا أؤكد هذا العامل النفسي، ولا أنفيه. ولكنني متأكد من أن مصرع أختي العاشقة كسر شيئاً في داخلي.. وترك على سطح بحيرة طفولتي أكثر من دائرة.. وأكثر من إشارة استفهام».

وقد أحب نزار خمس مرات رغم دواوين العشق التي كتبها ورغم «خمسين عاماً في مديح النساء».. وكان يرى فتاة أحلامه أو حبيبته يجب أن تتمتع بصفات ثلاث أولها أن تكون من يحبها تشبهه وثانيها أن تكون أمه وثالثها أن يكون فنه جزء من عمرها..

ورغم تعدد دواوينه في الحب والنساء منذ «قالت لي السمراء» عام ١٩٤٤ إلا أن نزار قباني يرفض صفة الدنجوانية وشاعر النساء التي يطلقونها عليه، فهو يرى أنه إنسان وشاعر، هو يرى أنه شاعر الثورة والحب، لذا حين نزفت الأمة العربية عام ١٩٦٧ جاءت كلماته النارية «هوامش على دفتر النكسة» والتي لها قصة شهيرة في منعها من مصر وإرساله خطاباً إلى جمال عبد الناصر الذي طالب بعدم منع

القصيدة وتداولها.. ثم كانت فلسطين وأطفالها هما النزيف الدائم في قلب نزار لذا جاءت قصائده عنهم في غاية الروعة مثل «أطفال الحجارة» و«القدس» و«عروس الخيول الفلسطينية» وغيرهم.. كما تأثر كثيراً ببيروت فابدع فيها عدة قصائد مثل «يا ست الدنيا يا بيروت» و«بيروت محظيتكم» و«بيروت حبيبتي» و«إلى بيروت الانثى مع الاعتذار» وغيرهم.. وقد استقر الشاعر فترة طويلة في لندن مدينة الضباب حتى رحل في ٥ مايو ١٩٩٨ .

أيظن أني لعبة في يديه

كانت قصيدة «أيظن» وقتها - في الستينيات - ثورة في كل شيء سواء في كتابة الكلمات التي خطها نزار بأسلوب جديد ومختلف عن أساليب الشعر الأخرى حيث يحكي قصة حب وانتظار طويلة في ١٢ بيتاً من الشعر.. فقد نشأ خلاف عميق بين العاشقين تجاوز حدود حبهما.. لم تعد الحبيبة تتحمل ما يفعله معها.. وجاءها بأعصاب باردة وببراءة الأطفال تتضح من عينيه وكأنهما لم يختلفا ولم يتفقا على أن هذه القصة انتهت وخلاص، بل عاد ليخبرها بأنها قدره وأنها «المقسوم» الذي عاش لأجله وأنه لا يستطيع العيش لحظة دونها.

كما أن عبد الوهاب لحن هذه القصيدة بشكل جديد ومختلف، فلم يضم إليها الريتم إلا في البيت الأخير حين يقول «ما أحلى الرجوع أليه».. بل وجعل عبد الوهاب لكل بيت في القصيدة لحنه الخاص، فلم يلحن القصيدة على شكل «كوبليهات»..

ورغم أن العالم العربي كله استمع إلى القصيدة إلا أن هناك شخصاً واحداً سمع عنها ولم يسمعها وهو أحق الناس بها.. هذا الشخص هو نزار قباني الذي كان سفيراً للجمهورية العربية المتحدة في الصين.. وهو الذي وصف نجاة بقوله: عندما تغني نجاة.. أحس أن هناك إنساناً يتكلم من حنجرتي أنا ويكتب بأصابعي أنا، ويتغزل بصوتي أنا.. إن نساء الشرق جميعاً يختبئن في أوتار حنجرتها الحريرية، وصوت نجاة بالنسبة لي يعبر عن شخصية بطلات قصائدي كأروع ما يكون التعبير، فهو يعبر عن أعماق الأنثى الضعيفة.. الأنثى الخجول التي تخاف البوح عما في عالمها الذاتي من أحاسيس».

ولم يتحمل نزار الذي يحب صوت نجاة بهذه الدرجة فكتب لها من الصين:

«أيتها الصديقة الغالية:

لا أزال في آخر الدنيا.. انتظر الشريط الذي يحمل أغنيتنا «أيظن»، تعيش في الصحف، في السهرات وعلى شفاه الأدباء، وفي كل زاوية من الأرض العربية، وابقى أنا محروماً من الأحرف التي أكلت أعصابي.

يا لك من أم قاسية يا نجاة. أريت «المولود» الجميل لكل إنسان، وتغنيت بجماله في كل مكان، وتركت أباه يشرب الشاي في بكين، ويحلم بطفل أزرق العينين يعيش مع أمه في القاهرة.. لا تضحكي يا نجاة إذا طلبت ممارسة أبوتي. فأنا لا يمكن أن أقنع نفسي بتلقي رسائل التهنئة بـ «المولود» دون أن أراه. فانهضي حالاً لدى وصول رسالتي وابعثي به إلى عنواني. إذا فعلت هذا كنت أماً عن حق وحقيق، أما إذا تمردت فسأطلبك إلى بيت الطاعة، رغم معرفتي بأنك تكرهينه»!

* * *

أيظن؟

أيـظـنُّ أنِّي لُـعْـــــبَـــــةٌ بيـــــديـهِ؟
أنـا لا أُفـكِّـرُ فـي الـرجـــــوعِ إلـيـــــه
اليـــومَ عـــادَ. كـــأنَّ شـيـــئـــاً لم يـكُنْ
وبـراءةُ الأطـفـــــالِ في عَـــيْـنَـيْـــــهِ
ليـــقـــولَ لـي: إنّي رفـــيـــقـــةُ دربهِ
وبـأنّـني الحـبُّ الـوحـــــيـــــدُ لَـدَيْـه
حَـــــمَـلَ الـزهـورَ إلـيَّ.. كـــــيـف أردُّهُ
وصِـبَـــايَ مـــرسـومٌ على شَـفَـتَـيْـــهِ
مـــا عـــدتُ أذكـــرُ.. والحـــرائقُ في دمي
كـــيـفَ الـتـــجـــأتُ أنـا إلـى زَنْدَيْـهِ
خـــبَّـــأتُ رأسي عـنـدهُ.. وكـــأنَّني
طـفـلٌ أعـــادوهُ إلـى أَبَـوَيْـهِ
حـــتى فـســـاتيـني التـي أهـملتُـهـا
فـــرحتْ بـهِ.. رَقَـــصَتْ عـلى قَـدَمَـيْـهِ
ســـامـحـــتُـــهُ.. وســـألتُ عـن أخـبـــارهِ

وبكـيتُ ســـــاعـــــاتٍ عـلى كَـــتِـــفَـــيْـــهِ
وبـــــدون أنْ أدري تـــركـــتُ لـــه يـــدي
لـتنـامَ كـــالعـــصـــفـــور بـينَ يديْـهِ..
ونـســـيـتُ حـــقـــدي كُلَّـهُ فـي لحظـةٍ
مَنْ قـــالَ إنِّي قـــد حـــقـــدتُ عليـــه؟
كـم قلـتُ إنّـي غـــيـــرُ عـــائدةٍ لـهُ
ورجـــعتُ.. مـــا أحـلى الـرجـــوعَ إليـــهِ..

من ديوان «حبيبتي» ١٩٦١

أيظـــن؟

كلمات: نزار قباني

لحن: محمد عبد الوهاب

غناء: نجاة الصغيرة

أيظن أني لعبة في يديه
أنا لا أفكر في الرجوع إليه
اليوم عاد كأن شيئاً لم يكن
وبراءة الأطفال في عينيه
ليقول لي أني رفيقة دربه
وبأنني الحب الوحيد لديه
حمل الزهور إلي. . كيف أرده
وصباي مرسوم على شفتيه
ما عدت أذكر والحرائق في دمي
كيف إلتجأت أنا إلى زنديه
خبأت رأسي عنده وكأنني
طفل أعادوه إلى أبويه

* * *

حتى فساتيني التي أهملتها
فرحت به . . رقصت على قدميه
سامحته وسألت عن أخباره
وبكيت ساعات على كتفيه
وبدون أن أدري . . تركت له يدي
لتنام كالعصفور بين يديه
ونسيت حقدي كله في لحظة
من قال أني قد حقدت عليه
كم قلت أني غير عائدةٍ له
ورجعت
ما أحلى الرجوع إليه

* * *

متى ستعرف كم أهواك يا أملاً؟!

نجاة.. ذلك الصوت الذي يخترق الحجب ويسحبك دون أن تدري إلى عالمٍ آخر من الرومانسية والأحاسيس الدافئة والحب الصادق.. الصوت الذي لا تخطئه الأذن يدندن في أذن عاشقه «متى ستعرف كم أهواك يا أملاً.. أبيع لأجله الدنيا وما فيها».

من هو هذا الرجل الجاهل الأحمق الذي لا يقدر صوتاً يحمل كل هذا الحنين إليه والذي لا يعرف أن هناك امرأة على استعداد لأن تقايض بعمرها كله لأجله، ليس ذلك فقط، بل هي رهن إشارته إذا أراد البحر سكبته في عينيه دون تردد، وإذا أحب دفأ أكثر من حناياها جاءت له بالشمس في كفه وذلك لأنها تحبه، بل وتفضح نفسها وتكتب له «أحبك» فوق الغيم والماء وتجلس على الأشجار لتحكي قصتهما للعصافير.. ثم تطالبه بألا يتركها بعدما سرق قلبها وألقى إليها بحب لا ينتهي، يا من أشعلت نيراني أطفئها.. لكنه هناك يدخن في صمت ويتركها. بين الموت والحياة.. بين العوم والغرق.. تعاتبه بمكاتيبه التي لم يكتبها وورود التي إليها لم يهديها ولمواعيده الصادقه مع كل الناس إلا معها.. ها هي تمد ذراعها في الهواء لتراقصه لكنه الهواء.. رغم كل العذاب إلا أنها تطالبه بالعودة لأنها لن تتحمل بعاده عنها.

وقامت نجاة وعبد الوهاب بتغيير كلمات كثيرة في القصيدة فبدلاً من «متى ستعرف كم أهواك يا رجلاً» صارت متى ستعرف كم أهواك يا أملاً»، وبدلاً من عنوانها «إلى رجل» صارت «إلى حبيبي».. كما تم حذف العديد من الأبيات من القصيدة حتى تتناسب مع الغناء ومع صوت نجاة.

* * *

إلى رجل

مـــتى ســـتـــعـــرفُ كـم أهواكَ.. يا رَجُـــلاً
أبيـعُ من أجـله الدُنْيـــا.. ومـــا فـــيـــهـــا
يـا مَنْ تحـــــدَّيْتُ فـي حُـــبّي لـهُ.. مُـــدُنـاً
بحـــالهـــا.. وســـأمـــضي فـي تَحَـــدِّيـهـــا
لو تـطلُبُ الـبـحـــرَ.. في عـــيْنيـكَ أسكُبُـــهُ
أو تطـلبُ الشـــمسَ.. في كـــفَّـيْكَ أرمـــيـهـــا
أنا أحـــبُّك. فـــوق الـغُـــيْم أكـــتُـبُـــهـــا
وللعـــصـــافـــيـــر، والأشـــجـــار.. أحْكِيـهـــا
أنا أحـــبُّـكَ. فـــوقَ المـاء أنقُـــشُـــهـــا
وللـعناقـــيـــد.. والأقـــداحِ.. أســـقـــيـهـــا..
أنا أحـــبُّكَ، يـا ســـيـــفـــاً أســـاَل دمي
يا قـــصَّـــةً لستُ أدري.. مـــا أُسَـــمِّـــيـهـــا
أنـا أُحـــبُّكَ. حـــاولْ أنْ تُـســـاعِـــدَنـي
فـــإنَّ مَنْ بدأ المـأســـاةَ.. يُـنْهِـــيـــهَـــا
وإنَّ مَـنْ فـــتـحَ الأبوابَ.. يُـغـلِقُـــهـــا
وإنَّ مَنْ أشـــعَـلَ النيـــرانِ.. يُـطفـــيـــهـــا
يـا مَنْ يـدخِّـنُ في صـــمتٍ.. ويـتـــركـني
في الـبـحـــر.. أرفع مـــرسـاتـي وألقـــيـهـــا

ألا تـرانى بـبـــــحـــــر الحـبِّ.. غـــــارقـــــةً
والمـوجُ يمضـغُ آمـــــالي ويَـرمـــيـــــهـــا
إنـزْل قلـيـــــــلاً عـن الأهـداب.. يـا رَجُـــــلاً
مـــازال يقـــتلُ أحـــلامي.. ويُـحـــيـــيـــهـــا
كـــفَـــاكَ.. تلـعبُ دورَ الـعـــاشـــقين مـــعي
وتـنتـــــقـي كلـمـــــات لـستَ تَـعْنِـيـــهـــا
كم اخـــتـــرعتُ مكـاتيـــبـاً.. سَـــتُـــرْسِلُهـا
وأسْـــعَـــدتْـني ورودًا. ســـوفَ تُهْـــديهـا
وكـم ذهـبـتُ لوعـــــدٍ.. لا وجـــــودَ لـهُ
وكـم حلـمـتُ بأثـوابٍ سَـــأشْـــريـهـــا
وكـــم تمـنَّـيـتُ لـــو لـــلـرقـص تـطـلُـبُـنـي..
وحـــيَّـــرتْـني ذِرَاعـي.. أينَ أُلقـــيـــهـــا؟
إرجـعْ إليَّ.. فـــــإنَّ الأرضَ واقـــفـــةٌ
كـــأنَّمـــا الأرضُ فـــرَّتْ مِنْ ثـوانيـــهـــا..
إرجعْ.. فَـــبَـــعْـــدَكَ لا عِـــقْـــدٌ أُعَـلِّقُـــهُ
ولا لمـسـتُ عُـطُوري فـي أوانيـــــهـــا..
لِمَـنْ جـمـــالي؟ لِمَـنْ شـــالُ الحـــرير؟ لِـمَنْ؟
ضـــفـــائري مـنذُ أعـــوامٍ أُربِّيـــهـــا؟
إرجعْ كـــمـــا أنـتَ.. صـــحـــواً كُنْتَ أم مَـطَراً
فـــمـــا حـــيـــاتي أنا.. إنْ لم تَـكُنْ فـــيـــهـــا؟

من ديوان «قصائد متوحشة» ١٩٧٠

متى ستعرف

كلمات: نزار قباني

لحن: محمد عبد الوهاب

غناء: نجاة الصغيرة

متـى ستـعـرف كم أهواك يـا أمـلا
أبيع مـن أجله الدنيـا ومـا فـيـهـا
لو تطلب الـبـحـر في عـينيـك أسكبـه
أو تطلب الشـمس في كـفـيك أرمـيهـا
أنا أحـبك فـوق الغـيم أكـتـبـهـا
وللعـصـافـير والأشـجـار أحكـيـهـا
أنا أحـبـك فـوق الماء أنقـشـهـا
وللعناقـيـد والأقـداح أسـقـيـهـا
أنا أحـبـك حـاول أن تسـاعـدني
فـإن مـن بدأ المأسـاة يـنهـيـهـا
وإن من فـتح الأبـواب يغلقـهـا
وإن من أشـعل النيـران يطـفـيـهـا
يا من يـدخن في صـمت ويتـركني
في البـحـر أرفع مـرسـاتي، وألقـيـهـا
ألا تراني بـبـحـر الحب غـارقـة
والموج يـضغ آمـالـي ويرمـيـهـا

كـفـــاك تلعب دور العـــاشـقين مـــعي
وتنتـــــقي كلمـــات لـست تعنـيـــهـــا
كـمـا اختـرعت مكاتيـبـاً سـتـرسلهـا
وأسـعـــدتني ورداً ســوف تهـديـهـا
وكم ذهـبت لوعـــــد لا وجـــــود له
وكم حلـمت بأثواب ســـأشـــريـهـا
وكـم تمنـيـت لو لـلـرقـص تطـلـبنـي
وحـــيـرتنـي ذراعي.. أين ألقـــيـهـــا
إرجع إلـي فـــإن الأرض واقـــفـــة
كـــأنما الأرض فـــرت من ثـوانيـــهـــا
إرجع فـــبـــعـدك لا عـــقـــد أعلقـــه
ولا لمسـت عطوري فـي أوانيـــــهـــا
لمن صـــــبـــاي.. لمن شـــال الحـــرير
لمن ضـــفـــائري منذ أعـــوام أربيـــهـــا
إرجع كـمـا أنت صـحـواً كنت أم مطراً
فـمـا حـيـاتي أنا..إن لم تكن فـيـهـا

ماذا أقول له؟

بعد أن أخذ الصقيع مكانه بين الحبيبين وانتهى العاشقين إلى شطآن بلا سواحل وصارت الذكريات بينهم غيم قرر الرجل أن يرجع إلى حبيبته.. أن يكسر كل الجمود الذي حل بهذه العلاقة.. أن يفك الارتباط الأبدي مع الحزن.. أن يلحق في اللحظة الأخيرة بآخر خيط رفيع في نهاية هذا الحب.. قرر أن يعود لها.. لم ينتظر رد فعلها.. لم يتوقعه، بل لم يناقشه مع نفسه.. يعرف أن ما كان بينهما سيجعلها تغفر هذا الهجران.. وأن تنسى تلك السنوات العجاف التي عاشها كل منهم بمفرده.. عاد إليها وقبل أن يأخذها إلى الدفء وجدها تتساءل: «ماذا أقول له لو جاء يسألني؟ إن كنت أكرهه أو كنت أهواه؟ إنها الأسئلة المحملة بالإجابة من السائل نفسه.. فهي ستتركه يلملم الليل عن شعرها بأنامله وستجعله يقترب من مقعدها وتنام على خصرها ذراعاه.. ثم تتساءل: إن كنت أكرهه أو كنت أهواه؟

هنا تحمل الحبيبة آلامها وسعادتها في سلة واحدة فيتعاركان فهي تقرر ذات مرة أنها ستعطيه رسائله لتحرق في المدفأة وينتهي الأمر.. لكن الأمر لا ينتهي بالنسبة لها فكل شيء يذكرها به.. جريدته.. سجائره.. بقاياه ثم تتساءل: ولكن ما الذي تحبه فيه؟ وحتى تستريح من عذاباتها تغفر له كل ما مضى لتقرر أنها ألف تهواه.

وقد تغير «ألم تمت كخيوط الشمس ذكراه» إلى «أما انتهت» والقصيدة من ديوان الرسم بالكلمات الذي صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٦٦ .

ماذا أقول له؟

مـــــاذا أقـــــولُ لـهُ لو جـــــاء يســـــألني..
إنْ كـنـــتُ أكـــــــــــرهـــهُ أو كـنـــتُ أهـواهُ؟
مـــــاذا أقـــــولُ، إذا راحـتْ أصـــــابعُـــــهُ
تُـلَمْـلِمَ الـلـيـلَ عـن شَـــعـــــري وترعـــــاهُ؟
وكـــــيـف أســـــمحُ أن يدنـو بمقـــــعـــــده؟
وأن تـنام عـلـى خـــــصـــــري ذراعـــــاهُ؟
غـــــداً إذا جـــــاء.. أُعطـيـــــه رســـــائلَـهُ
ونُـطعـمُ الـنارَ أحـلـى مـــا كـــــتـــــبناهُ
حـيـــبـتي! هل أنا حـقـــاً حـبـيـبـتُـهُ؟
وهل أُصـــــدِّقُ بعـــــد الهـــجـــــر دعـــواهُ؟
أمـــا انـتـــهتْ مـن سنينٍ قـــصَّـــتي مـــعـــهُ؟
ألمْ تمُـتْ كـــخُـيـــوطِ الشـــمس ذكـــراهُ؟
أمـــا كَـــسَـــرْنا كـــؤوسَ الحـبِّ من زمـنٍ
فـكيـف نبـكي عـلـى كـــأسٍ كـــســـرنـاهُ؟
ربَّاهُ.. أشـــيـــاؤه الصـــغـــرى تعـــذبـني
فـكيـف أنجـــو مـن الأشـــيـــاء ربَّـاهُ؟
هـنا جـــــريدتُـهُ فـي الركـن مـــــهـــــملـةٌ

هنا كـتـابٌ مـعـاً.. كنا قـرأناهُ
على المقـاعـد بعضٌ من سـجـائرهِ
وفي الزوايا.. بقـايا من بقـاياهُ..
مـالي أُحـدِّق في المرآة أسـألُها
بـأيِّ ثـوبٍ مـن الأثـوابِ ألـقـاهُ
أأدَّعـي أنني أصـبـحت أكـرهُـهُ؟
وكـيف أكـره مَنْ فـي الجـفن سكناهُ؟
وكـيفَ أهـربُ منـهُ؟ إنَّـه قَـدَري
هل يـملكُ الـنهـرُ تـغـيـيـراً لمجـراهُ؟
أُحـبُّـه.. لـستُ أدري مـا أُحبُّ بـه
حـتى خـطاياهُ مـا عـادتْ خـطاياهُ
الحـبُّ فـي الأرضِ بـعـضٌ مـن تـخـيُّـلِـنـا
لو لـم نجـدهُ عليـهـا.. لاخـتـرعـناهُ
مـاذا أقـولُ لـه لو جـاء يسـألني
إنْ كـنـتُ أهـواهُ؟ إنـي ألـفُ أهـواهُ..

من ديوان «الرسم بالكلمات» ١٩٦٦

ماذا أقول له ؟

كلمات: نزار قباني

لحن: محمد عبد الوهاب

غناء: نجاة الصغيرة

مـــاذا أقـــول له لو جـــاء يســـألني . .

إن كنـت أكـــــــرهه أو كـنت أهـواهُ؟

مـــــاذا أقـــــول، إذا راحـت أنامـله

تلمـلم الليل عن شـــعـــري وترعـــاهُ؟

وكـــيف أســـمح أن يـدنو بمقـــعـــده؟

وأن تنـام على خـــصـــري ذراعـــاه؟

غـــداً إذا جـــاء . . أعطيـــه رســـائله

ونطـعم النار أحـلى مـــا كـــتـــبـناه

حـبـيـبـتي! هل أنا حـقـاً حبـيـبـتـه؟

وهل أصـــدِّقُ بـعـــد اليـــوم دعـــواه؟

أمـا انتـهت من سـنين قـصـتي مـعـه؟

أمـا انتـهت كـخيـوط الشـمس ذكـراهُ؟

أمـــا كـســـرنا كـــؤوس الحب من زمن

وكـيـف نبكي على كـــأس كـســـرناهُ؟

رباه: رباه أشـيـاؤه الصـــغـرى تعـذبني

فكـيف أنجـــو من الأشـــيـــاء رباهُ؟

هنا جريدته في الركن مهملة
هنا كتاب معاً كنا قرأناهُ
على المقاعد بعض من سجائره
وفي الزوايا بقايا من بقاياه
مالي أحدق في المرآة أسألها
بأي ثوب من الأثواب ألقاهُ
أأدعي أنني أصبحت أكرهه؟
وكيف أكره من في الجفن سكناه؟
وكيف أهرب منه؟ إنه قدري
هل يملك النهر تغييراً لمجراه؟
أحبه.. لست أدري ما أحب به
حتى خطاياه ما عادت خطاياه
الحب في الأرض بعض من تخيلنا
لو لم نجده عليها لاخترعناه
ماذا أقول له لو جاء يسألني
إن كنت أهواه.. إني ألفُ أهواهُ

أسألك الرحيلا ؟!

كان غناء هذه القصيدة صعب حيث تمتلئ بالحزن والرحيل والبعاد والهجران فهي امرأة تطلب من حبيبها الرحيل.. لذا طلبت نجاة من نزار قباني أن ينهي القصيدة بأنه رغم الرحيل إلا أنه تطالبه بالرجوع إليها.. ونزار يرى أن المرأة لابد أن تبتعد عن الرجل فترة ما «ابتعدي قليلاً لكي اشتهيك».. يطلب إجازة حب لكي يعود الحب قوياً وناضجاً ومكتملاً.. فلكي لا تموت الأشجار لابد أن يأتي الخريف ليسقط أوراقها ومع الربيع تعود صبية مورفة الظلال.. وتأتي بأدلتها المقنعة.. فالطير في كل موسم تفارق الهضابا.. والشمس يا حبيبي تكون أحلى عندما تحاول الغيابا» مع أن شروق الشمس أروع لأنه بشير فرح وليس خوف وانقباض كما يحدث مع الغروب، وحين يقرر العاشق السفر يجدها تطالبه بالبقاء وأن ينزع معطف السفر لأنها لا شيء.. لا شيء.. لا شيء دونه.

أسألكَ الرحيْلا

لِنَفْترقْ قليلا . .
لِخَيْر هذا الحبِّ، يا حبيبي
وخيرنا . .
لنفترقْ قليلا . .
لأنني أريدُ أن تزيد في محبَّتي
أريدُ أنْ تكرهني قليلا . .
بحقِّ ما لدينا .
منْ ذكَر غالية كانت على كلَيْنَا . .
بحقِّ حُبٍّ رائعٍ . .
ما زالَ محفُورً على فَمَيْنَا
ما زالَ محفُورً على يَدَيْنَا . .
بحقِّ ما كَتَبْتَهُ . . إليَّ مِنْ رَسَائلِ . .
وَوَجْهِكَ المزروعِ مثلَ وردةٍ في داخلي . .
وحُبِّكَ الباقي على شَعْري . . على أناملي
بِحقِّ ذكْرياتِك
وحُزْنِنَا الجميلِ وابتسامِنا . .
وحُبِّنا الذي غدا أكبرَ منْ كلامنا

أكبرَ من شفاهنا . . .
بحقٍّ أحلى قِصَّةٍ للحبِّ في حياتِنَا
أسألُكَ الرحيلا . .

*

لِنَفْتَرِقْ أحبابا . .
فالطيرُ كلَّ موسمٍ . .
تفارقُ الهضابا . .
والشمسُ يا حبيبي . .
تكونُ أحلى عندما تحاول الغيابا
كُنْ في حياتي الشكَّ والعذابا
كُنْ مرةً أسطورةً . .
كُنْ سؤالاً في فمي
لا يعرفُ الجوابا . .
من أجل حبٍّ رائعٍ
يسكنُ منّا القلبَ والأهدابا
وكَيْ تكونَ أكثرَ اقترابا
أسألُكَ الذهابا . .

*

لِنَفْتَرِقْ . . ونحن عاشقانِ . .
لِنَفْتَرِقْ برغْم كُلِّ الحُبِّ والحنانِ
فمِنْ خلال الدَمْعِ يا حبيبي

أريدُ أن تراني
ومِن خلال النار والدخانِ
أريدُ أن تراني
لِنَحْتَرِقْ. . لِنَبْكِ يا حَبِيبي
فقد نَسينا. .
نعمةَ البُكاءِ من زَمَانِ
لِنَفْتَرِقْ. .
كي لا يصيرَ حُبُّنَا اعْتِيَادًا
وشَوْقُنا رَمَادَا. .
وتَذْبُلَ الأزْهَارُ في الأواني. .

*

كُنْ مطمئنَّ النفس يا صغيري
فلم يزل حبُّكَ. . ملءَ العين والضَّميرِ
ولم أزلْ مأخوذةً بحبِّكَ الكبيرِ
ولم أزل أحلم أن تكونَ لي
يا فارسي أنتَ. . ويا أميري
لكنَّني. . لكنَّني. .
أخَافُ مِنْ عاطفتي
أخَافُ مِنْ شُعُوري
أخافُ أنْ نسأمَ مِنْ أشواقنا

أخَافُ منْ وصالنا . .
أخَافُ مِنْ عنَاقنا
فباسْمِ حُبٍّ رائعٍ
أزْهَرَ كالربيع في أعماقِنا . .
أضَاء مثلَ الشمْسِ في أحداقنا
وباسْمِ أحلى قصَّةٍ للحُبِّ في زمانِنَا
أسألُكَ الرَّحيلا . .
حتى يظلَّ حبُّنا جميلا . .
حتى يكونَ عُمْرُهُ طويلا . .
أسْألُكَ الرحيلا . .

أسألك الرحيلا

كلمات: نزار قباني

ألحان: محمد عبد الوهاب

غناء: نجاة

لخير هذا الحب يا حبيبي
وخيرنا
أسألك الرحيلا
بحق ما لدينا
من ذكرى غالية كانت على كلينا
بحق حب رائع . . مازال مرسوماً بمقلتينا
مازال منقوشاً على يدينا . .
بحق ما كتبته إلي من رسائل
وحبك الباقي على شعري على أناملي
بحق ذكرياتنا وحبنا الجميل وابتسامنا
بحق أحلى قصة للحب في زماننا . .
أسألك الرحيلا

* * *

لنفترق أحبابا
فالطير كل موسم تفارق الهضابا
والشمس يا حبيبي تكون أحلى

عندما تحاول الغيابا

كن في حياتي الشك والعذابا
كن مرة أسطورة. . كن مرة سرابا
وكن سؤالا في فمي لا يعرف الجوابا
من أجل حب رائع
يسكن منا القلب والأهدابا
وكي أكون دائماً جميلة
وكي تكون أكثر اقترابا
أسألك الذهابا

* * *

إنزع حبيبي معطف السفر
وابقى معي حتى نهايات العمر. .
فما أنا مجنونة كي أوقف القضاء والقدر
وما أنا مجنونة كي أطفئ القمر
ماذا أنا لو أنت لا تحبني؟
ما الليل. . ما النهار. . ما النجوم. . ما السحر؟
ستصبح الأيام لا طعم لها. .
وتصبح الاشكال لا شكل لها
ويصبح الربيع مستحيلا
والعمر مستحيلا

إبقي حبيبي دائماً كي يورق الشجر
إبقى حبيبي دائماً كي يهطل المطر.
إبقى حبيبي دائماً كي تطلع الوردة من قلب الحجر
لا تكترث بكل ما أقول يا حبيبي..
في زمن الوحدة أو وقت الضجر
وإبقى معي.

أم كلثوم:
نعم هناك كرامة في الحب يا نزار!!..

لم تحقق قصيدة «أسألك الرحيلا» التي غنتها نجاة النجاح المتوقع لها فقد حدثت النكسة العربية عام ١٩٦٧ .. وحدث التحول في المجتمع العربي كله.. وراح عبد الوهاب يبحث عن عمل يقدمه لأم كلثوم من كلمات نزار قباني ودار حوار طويل بينهما حتى جاء نزار بقصيدة «طريق واحد» عام ١٩٦٨ لتقدمها الإذاعة المصرية بصوت أم كلثوم حيث تقول «أصبح عند الآن بندقية، إلى فلسطين خذوني معكم، إلى ربا حزينة كوجه المجدلية، إلى القباب الخضر، والحجارة البنية» وقد أذاعتها الإذاعة المصرية وأغلب الإذاعات العربية مرات ومرات لكنها الآن صارت من متاحف الأغنية العربية.. يخبئونها بشكل غريب وكأنها جرثومة.. هذه القصيدة أو حسب قوله «كان من أجمل أحلامي أن تشدو مغنية العصر أم كلثوم بقصيدة حب من قصائدي

القصيدة الوحيدة التي غنتها لي كانت قصيدة سياسية، هي «أصبح الآن عندي بندقية» التي كانت أغنية جميلة جداً.. لحنها الموسيقار محمد عبد الوهاب وأعطاها صوت السيدة أم كلثوم بعداً ملحمياً رائعاً.. أم عن قصائد الحب فهناك قصيدة حب لم تر النور، لأنها اصطدمت بمبادئ السيدة أم كلثوم.. القصيدة التي قدمتها لها في السبعينيات كان عنوانها «إغضب كما تشاء».. كنت أقرأ القصيدة للسيدة أم كلثوم في فيللتها بالزمالك، وكانت تصغى إليّ يدوق شعري رهيف، وعقل مفتوح، وعندما فرغت من قراءة القصيدة.. قالت السيدة أم كلثوم: قصيدة جميلة جداً يا نزار.. ولكنها بكل أسف تتعارض مع مبادئي، ومواقفي، ونظرتي للحب وأضافت بكل هدوء ومحبة:

إن أم كلثوم لا تسمح لنفسها، ولا تسمح لها تقاليدها وقيمها أن تقول للرجل الذي تحبه: إذهب شمالاً ويميناً، وشرقاً وغرباً، وادخل في علاقات غرامية مع ألف

امرأة.. ثم متى تعبت «فعد إلى قلبي متى تشاء» لأنني حاضرة للصفح عنك في أية لحظة هذا موقف لا أقبله يا نزار - لأنه يتعارض مع ما أؤمن به.. فأرجو أن تفهم وجهة نظري.

الحقيقة أنني لم أتضايق من كلمات السيدة أم كلثوم، بل استمعت إليها باحترام وتقدير كبيرين.. لرأيها، وتاريخها العريق.. كان حواراً حضارياً ذلك الذي دار بيني وبين كوكب الشرق، وأتحدث عنه بعد عشرين سنة.. حتى تعرف الأجيال الجديدة، أن عمالقتنا في الغناء لم يصلوا إلى القمة بأصواتهم فقط، وإنما بنقائهم الداخلي، والتزامهم الأخلاقي».

ولم تكن «أصبح عندي الآن بندقية» هي القصيدة الوحيدة لنزار التي تغنيها أم كلثوم.. ولكن هناك قصيدة أخرى وقصة أخرى.

طريق واحد

أريد بندقية
خاتم أمي بعته
من أجل بندقية
محفظتي رهنتها
من أجل بندقية
اللغة التي بها درسنا
الكتب التي بها قرأنا
قصائد الشعر التي حفظنا
ليست تساوي درهماً
أمام بندقية . .
أصبح عندي الآن بندقية
إلى فلسطين خذوني معكم
إلى رُبى حزينة كوجه مجدليه
إلى القباب الخضر، والحجارة النبيه
عشرون عاماً . . وأنا . .
أبحث عن أرض . . وعن هوية . .
أبحث عن بيتي الذي هناك
عن وطني المحاط بالأسلاك
أبحث عن طفولتي . . وعن رفاق حارتي
عن كتبي عن صوري

عن كل ركن دافئ وكل مزهرية
أصبح عندي الآن بندقية
إلى فلسطين خذوني معكم يا أيها الرجال
أريد أن أعيش أو أموت كالرجال
أريد أن أنبت في ترابها.. زيتونة أو حقل برتقال
أو زهرة ندية..
قولوا لمن يسأل عن قضيتي
بارودتي.. صارت هي القضية..
أصبح عندي الآن بندقية
أصبحت في قائمة الثوار
أفترش الأشواك والغبار
وألبس المنية..
يا أيها الثوار
في القدس، في الخليل، في بيسان، في الأغوار
في بيت لحم
حيث كنتم أيها الأحرار..
تقدموا..
تقدموا..
فقصة السلام مسرحية..
والعدل مسرحية
إلى فلسطين طريق واحد
يمر من فوهة بندقية..

أصبح عندي الآن بندقية

كلمات: نزار قباني

ألحان: محمد عبد الوهاب

غناء: أم كلثوم

أصبح عندي الآن بندقية
إلى فلسطين خذوني معكم
إلى ربا حزينة كوجه المجدلية
إلى القباب الخضر
والحجارة النبية
أصبح عندي الآن بندقية
عشرون عاماً وأنا
أبحث عن أرض وعن هوية
أبحث عن بيتي الذي هناك
عن وطني المحاط بالأسلاك
أبحث عن طفولتي
وعن رفاق حارتي
عن كتبي. . عن صوري
عن كل ركن دافئ
وكل مزهرية
إلى فلسطين خذوني معكم

يا أيها الرجال أريد أن أعيش
أو أموت كالرجال
قولوا لمن يسأل عن قضيتي
باردوتي صارت هي القضية
أصبح عندي الآن بندقية
أصبحت في قائمة الثوار
أفترش الأشواك والغبار
وألبس المنية
أنا مع الثوار. . أنا مع الثوار
من يوم أن حملت بندقيتي
صارت فلسطين على أمتار
يا أيها الثوار في القدس
في الخليل. . في بيسان
في الأغوار
في بيت لحم
حيث كنتم أيها الأحرار
تقدموا. . تقدموا
إلى فلسطين طريق واحد
يمر من فوهة بندقية

* * *

رسالة إلى جمال عبد الناصر

بعد أن رحل آخر الأنبياء جمال عبد الناصر - حسب تعبير نزار قباني - كان العالم كله مداد حزن على رجل لا يكرره التاريخ العالمي كثيراً وبكت أم كلثوم كما لم تبكِ من قبل، وكتب نزار قباني «عندي خطاب عاجل إليك» ولحن القصيدة رياض السنباطي وليس عبد الوهاب الذي لحن «أصبح عندي الآن بندقية» وسجلت أم كلثوم الأغنية وهي تبكي.. وكتبت جريدة الأهرام في ١٧ نوفمبر ١٩٧٠ تحت عنوان «أم كلثوم تختزل قصيدة نزار لتذاع في ٩ دقائق: «اختارت أم كلثوم لأغنيتها الجديدة التي كتبها الشاعر نزار قباني اسم «خطاب» بدلاً من «رسالة إلى عبد الناصر» كما اختصرت شطراتها لتذاع في مدة لا تزيد على ٩ دقائق، وفي نفس الوقت عدلت في بعض الكلمات مثل «ادمنت هواك» لتصبح «تيمها هواك» وكلمة «المنابر» بدلاً من «الستائر» «وصوت كل ثائر» بدلاً من «كل طائر».. وقد استغرق تسجيل الأغنية ١٥ ساعة أجرى خلالها الموسيقار رياض السنباطي في استديو أم كلثوم (٣٥ سابقاً) ١٧ بروفة، وادخل فيها فرقة كورال الأوبرا.

الجديد في اللحن أن رياض السنباطي لم يستعمل أي ايقاع على عكس ما سمعناه في الأغاني الوطنية، واستعمل الآلات الموسيقية التي تعطي الطابع الحزين مثل آلة «لأبوة» وآلة «الأورج» ولكن بطريقة حزينة، وكذلك الأورغن ذو اللحن الجنائزي ثم آلة الجيتار.

* * *

رسالة إلى جمال عبد الناصر

هذا خطاب عاجل إليك
من أرض مصر الطيبة
من ليلها المشغول بالفيروز والجواهر
ومن مقاهي سيدي الحسين، من حدائق القناطر
من ترع النيل التي تركتها. . حزينة الضفائر
هذا خطاب عاجل إليك
من الملايين التي قد أدمنت هواك
من الملايين التي تريد أن تراك
عندي خطاب كله أشجان
لكنني يا سيدي
لا أعرف العنوان. .
الزرع في الغيطان. . والأولاد في البلد
ومولد النبي
والمآذن الزرقاء
والأجراس في يوم الأحد
وهذه القاهرة التي غفت
كزهرة بيضاء في شعر الأبد

يسلمون كلهم عليك
يقبلون كلهم يديك
ويسألون عنك كل قادم إلى البلد
متى تعود للبلد؟
حمائم الأزهر، يا حبيبنا، تهدي لك السلام
معديات النيل، يا حبيبنا، تهدي لك السلام
والقطن في الحقول، والنخيل، والغمام
جميعها.. جميعها.. تهدي لك السلام
كرسيك المهجور في (منشية البكري) يبكي فارس الأحلام
والصبر لا صبر له..
والنوم لا ينام..
وساعة الجدار، من ذهولها، ضيعت الأيام
يا من سكنت الوقت والتاريخ والأيام
عندي خطاب عاجل إليك
لكنني يا سيدي.. لا أجد الكلام
الحزن مرسوم على الغيوم، والأشجار، والستائر
وأنت سافرت.. ولم تسافر..
فأنت في رائحة الأرض، وفي تفتح الأزهار
في صوت كل موجة وصوت كل طائر

في كتب الأطفال، في الحروف، في الدفاتر
في خضرة العيون، وارتعاش الأساور. . .
في صدر كل مؤمن، وسيف كل ثائر
عندي خطاب عاجل
لكنني . . . لكنني يا سيدي
تسحقني مشاعري
يا أيها المعلم الكبير
كم حزننا كبير
كم جرحنا كبير
لكننا
نقسم بالله العلي القدير
أن نحبس الدموع في الأحداق
ونخنق العبرة
نقسم بالله العلي القدير
أن نحفظ الميثاق
ونحفظ الثورة
وعندما يسألنا أولادنا
من أنتم؟
في أي عصر عشتم؟

في أي عصر مُلهم؟

في عصر أي ساحر؟

نجيبهم: في عصر عبد الناصر

الله.. ما أروعها شهادة

أن يوجد الإنسان في زمان عبد الناصر..

عندي خطاب عاجل إليك

كلمات: نزار قباني

ألحان: رياض السنباطي

غناء: أم كلثوم

مقدمة حزينة بصوت أم كلثوم كلاماً دون غناء

زعيمنا .. حبيبنا .. قائدنا :

ثم تغني:

عندي خطاب عاجل إليك
من أرض مصر الطيبة
عندي خطاب عاجل إليك
من الملايين التي تيمها هواك
من الملايين التي تريد أن تراك
عندي خطاب عاجل إليك
لكنني لا أجد الكلام
فالصبر لا صبر له . . .
والنوم لا ينام . .

كورس: الحزن مرسوم على الغيوم
والأشجار والمنابر
وأنت سافرت . . ولم تسافر
فأنت في رائحة الأرض،

وفي تفتح الأزاهر

في صوت كل موجة وصوت كل ثائر

غناء أم كلثوم: عندي خطاب عاجل إليك

لكنني لا أجد الكلام

فالصبر لا صبر له

والنوم لا ينام

كورس: يا أيها المعلم الكبير

غناء أم كلثوم: لكننا نقسم بالله العلي القدير

أن نحبس الدموع في الأحداق. .

ونخنق العبرة

كورس: نقسم بالله العلي القدير

أن نحفظ الميثاق. . ونحفظ الثورة

غناء أم كلثوم: وعندما يسألنا أولادنا

في أي عصر عشتم؟

في أي عصر ملهم؟

في أي عصر باهر؟

كورس: نجيبهم: في عصر عبد الناصر.

عبد الحليم يكتب..

وأنا أغني

نزار

صار «اليتيم» صوت شعب وحب أمة وأمل عشاق.. كان لا يعشق شيء أكثر من فنه.. كان أناني في حب الغناء لدرجة من الأنانية لم يصل إليها أحد من البشر فحقق خلوداً لم يحققه أحد من البشر..

كان يبحث عن الكلمة التي يمشي على ضفافها إلى الناس فسكن كلمات مرسي جميل عزيز ومأمون الشناوي ومحمود حسن إسماعيل وإسماعيل الحبروك وأحمد شفيق كامل وكامل الشناوي وغيرهم.. ٤٢ شاعر غنى كلماتهم فسكنت كلماتهم قلوب الناس..

وجاء تعامل نزار قباني مع عبد الحليم حافظ من خلال أيام جفاء كانت بين حليم ومحمد الموجي ويروي مجدي العمروس في كتابه «أعز الناس» القصة: « .. كان للموجي في قلب عبد الحليم مكانة من الحب والاعزاز والتقدير كانت تأخذ الاتجاه العائلي، وهو الاتجاه الذي يحبه أهل الريف ويفضلونه، كان دائم الذهاب إلى بيت الموجي والأكل من يد أم أمين زوجة الموجي، ومداعبة أبناء الموجي، والجلوس معهم وتقريبهم إليه، والسؤال عن أحوال معيشتهم ومشاكلهم ومطالبهم التي كان يجتهد في تحقيقها لهم، حيث كان يعلم بجميع مشاكل الموجي الخاصة ومسئوليته قبل عائلته الكبيرة، التي أثقل كاهله بها وهو في بداية مشواره، وكان عبد الحليم يعتبر أسرة الموجي أسرته، يلذ له أن يجلس بينها ليحل مشاكلها، ويحمل فوق كتفيه بعض أعبائها تخفيفاً عن كتفي الموجي، وهي أشياء مادية كما أسلفنا تسببت في ابتعاد الموجي عن عبد الحليم بعض الوقت في بعض خطوات المشوار، ويحضرني مثل هنا يعطينا دلالة واضحة على مكانة عبد الحليم في قلب الموجي، وكيف كان يؤثره بأحسن ما عنده مهما كانت الأزمات.

في الوقت الذي ابتعد فيه الموجي عن عبد الحليم بعض الوقت، ولدت في ذهن الموجي واحدة من روائعه وهي «رسالة من تحت الماء»، ظل محتفظاً بها لمدة ست سنوات لا يسمعها لأحد اطلاقاً، إلى أن كنا في المغرب في إحدى الرحلات، وكان الموجي موجوداً، فأرسل لي الراحل أحمد الحفناوي لكي يهمس إلى أن أدفع عبد

الحليم كي يطلب من الموجي أن يسمعه «رسالة من تحت الماء» لأن الموجي يخجل من أن يعرضها على عبد الحليم، وقد ذكى الحفناوي الأغنية وقال أنها أحسن قصيدة لحنها الموجي.

فتعمدت أن أقول لعبد الحليم أن الموجي تعبان في غرفته، ويجب أن احنا نزوره خصوصاً ونحن في غربة، وكان عبد الحليم وكأنه متشوق لمثل هذا الأمر فاستجاب إلى طلبي فوراً بل وشجعني بكلمات طيبة، ولما دخلنا غرفة الموجي وسألناه عن صحته، فهم الأمر وقال الحمد لله، وبعد أن جلسنا بعض الوقت أمسكت العود وسلمته للموجي وقلت له: أنا عاوز أسمع منك «رسالة من تحت الماء» وغنى الموجي «رسالة» وأعجب عبد الحليم جداً وقال للموجي: دي حاجة حلوة قوي يا محمد، فقال محمد بطبيعته المعروفة: دي من ٦ سنين جاهزة ومستياك يا حليم، فقال عبد الحليم: أول ما نرجع إن شاء الله نعمل بروفات.

وعدنا وأثناء بروفات «رسالة» أسمعه الموجي أيضاً قصيدة «يا مالكا قلبي» واتفق على أن يغني عبد الحليم الاثنين في حفلة واحدة في ربيع تلك السنة.

وعادت العلاقات وعادت البروفات وعادت الألحان، وإن اختصرها عبد الحليم برحيله المفاجئ عند «قارئة الفنجان».

ولكن هناك رواية أخري تقول أن عبد الحليم أعجب بهذه القصيدة عندما قرأها في إحدى مجموعات نزار قباني الشعرية واتصل بالموجي في وقت متأخر من الليل وطلب منه الحضور إلى بيته وقرأ على الموجي القصيدة وطلب منه تلحينها وبدأ الموجي في تلحين القصيدة إلا أن هناك خلافاً حدث بينهما بسبب أغاني فيلم «يوم من عمري».. ومهما كانت طبيعة الخلاف فقد خرجت القصيدة إلى النور بعد أن هاتف حليم نزار قباني الذي طلب الاستماع إلى اللحن حتى يوافق، وأعجب نزار باللحن ومع نجاح القصيدة الأغنية لم يسلم عبد الحليم من لسان الشيخ عبد الحميد كشك الذي هاجمه قائلاً أني أغرق اغرق تحت الماء.. أكان أبوك سمكة أم قرموط!!

وقد وصف نزار عبد الحليم بقوله: «عبد الحليم حافظ اختصر تاريخ الغناء والمغنيين.. منذ اسحاق الموصلي حتى اليوم، ولو أن الله كتب لهذا المبدع أن يعيش خمسين سنة أخرى، لقلب تاريخ الغناء العربي من أساسه. إنه مغني ثوري.. ومغامر من طراز نادر، وحين أعطيته قصيدتي «رسالة من تحت الماء» و«قارئة الفنجان» التمعت في عينيه آلاف النجوم، وقال شكراً يا نزار.. هذا هو الشعر الذي أريد أن أغنيه.. عبد الحليم كان صديقي، وأملي في إنهاء عصر التلوث الموسيقي الذي نعيشه، لقد أعطت السيدة أم كلثوم كل ما عندها وذهبت، وأعطى الموسيقار محمد عبد الوهاب كل ما عنده، وذهب، ولكن عبد الحليم كان وردة الحداثة التي جفت قبل أن تعطي كل عبيرها، وكان قمر الحب الذي غاب قبل أن يملأ سماءنا بأمطار الياسمين، عبد الحليم هو بين المطربين شاعرهم، وبين الشعراء مطربهم.. ولا أدري لماذا أشعر أن هذا الرجل شاركني في قصائدي.. كما شاركته أنا في غناء شعري، ففي «رسالة من تحت الماء» وفي «قارئة الفنجان».. اختلطت حدودي وحدوده.. حتى صار هو الشاعر وصرت أنا المغني.. كنت دائماً احتفظ بحدودي الشعرية وباستقلالية كلماتي.. حتى جاء عبد الحليم ونسف الحدود كلها.. دخلت معه بحر المغامرة الشعرية.. فلم يخف من ارتفاع الموج وعصف الرياح.. إن أعظم ما في عبد الحليم.. أنه كان مثلي باحثاً عن الغريب والمدهش واللامألوف.. كنت أنا أحلم بإحداث انقلاب في جسد القصيدة.. وكان هو يحلم بإحداث انقلاب جسد الأغنية، وهكذا تلاقي فكري بفكرة، واستطعنا أن نخرج من لغة أحمد رامي الفارقة في الرومانسية، لندخل الأغنية إلى عصر الحداثة، ونجعلها جزءاً من كلامنا اليومي، ومن عصرنا، ودخلنا المختبر معاً، وخرجنا بـ «قارئة الفنجان» التي اعتبرها من أغرب وأصعب قصائدي في الغناء، ولكن عبد الحليم ألقى القبض على القصيدة، وقرر أن يغامر بها.

حوار نادر بين
الشاعر.. والمغني

في أواخر عام ١٩٧٦ سافر العندليب الاسمر عبد الحليم حافظ إلى دمشق نزار قباني ليغني على مسرح دمشق كابن عربي يمتد حبه من المحيط إلى الخليج.. منطلقاً بصوته كاسراً كل حواجز الصمت العربية.. وهناك وقبل أن يقف على المسرح ليغني وأثناء استعداده واجرائه البروفات التقى بنزار قباني وسجلا معاً حواراً مرئياً نادراً حول قصيدة قارئة الفنجان كان هذا نصه:

عبد الحليم: هناك كلام كثير قيل عن قصيدة «قارئة الفنجان» وأنا رديت عليه، لكن أحب أن ترد أنت أيضاً عليه.. فأنت كتبت:

«فحبيبة قلبك يا ولدي
نائمة في قصر مرصود
والقصر كبير يا ولدي
وكلاب تحرسه وجنود
من حاول أن يدخل حجرتها
يا ولدي مفقود
من حاول فك ضفائرها
من يدنو من سور حديقتها
مفقود مفقود».

واحنا شيلنا كل الحاجات دي وغيرناها معا وأعدنا ترتيب بعض الأبيات.

نزار: فعلاً القصيدة تعرضت لكثير من الشغل، وأنا أرسلتها لك عام ١٩٧٣ وطلعت للناس عام ١٩٧٦، واشتغلنا بالتليفونات بين القاهرة، ودبي، وما وقع فيها من أخطاء في الوزن لاشك أنه ناتج عن اللعب الذي لعبتموه في القصيدة بدوافع موسيقية، وأنا احترمت رغباتكم لكن أعتقد أن القصيدة كما كانت بالأصل أفضل، وقلت لك من دبي تليفونياً: أنا أخشى يا أستاذ عبد الحليم أن القصيدة عم تخسر تشكيلها وبنيانها الأول..

عبد الحليم: وأنا قلت لك...

نزار: وأنت تعرف كفنان أن القصيدة هي الدفعة الأولى دائماً، وأنا كنت ضد التغيير لكن أمام رغباتك ورغبات الموجي من جهة أخرى أجريت هذا التغيير.

عبد الحليم: فيه ناس ياخدوا المعنى السطحي للكلام.. وفيه ناس يقولون أن نزار يتكلم عن حرية الإنسان ويعطيها كل شيء وأن الإنسان يعطي الدنيا كل شيء ولا يأخذ منها أي شيء حتى حريته لا يستطيع أن يأخذها في أي مكان أو في أي زمان.

نزار: شوف يا أستاذ عبد الحليم، قيمة القصيدة أنها حينما تغادر فم الشاعر وأصابعه تخرج من يده تماماً وتصبح ملك الناس، وكل واحد يفسر على كيفه. وأنا لا أزعل ودائماً أردد بيت المتنبي:

أنا ملئ جـــفـوني عن شـــواردها

ويسهر الخلق من جراها ويختصموا

ومن حسن حظ القصيدة أن الناس مش كل واحد زي التاني. ولذلك فمن يفسرها على أنها مفهوم الحرية.. عال، ومن يفسرها على أنها المرأة المستحيلة التي لا تطال.. التي ليس لها وطن أو أرض أو عنوان.. عال. وكله صحيح، وكل واحد يأتي ويفسر القصيدة نقول له: آه.. مضبوط وما تقوله صحيح، وهذه هي قيمة القصيدة.

عبد الحليم ضاحكاً: أنت تعرف أن جماهيرنا العربية تحب قوي من الشاعر أو المغني...

نزار: أن يفسر

عبد الحليم: نعم.

نزار قباني: لا.. ليست وظيفتنا أبداً، فأنت تغني وأنا أكتب وكل واحد بدوره الثقافي وأعماقه الداخلية هو الذي يفسر وهو الذي يبدع الصور. وعلى سبيل المثال ففي المتحف يقف أمام صور بيكاسو عشرة آلاف إنسان، وكل واحد يرى الصور بعينه الخاصة.

عبد الحليم: وهكذا الشاعر.

نزار: وكذلك أيضاً القطعة الموسيقية، وأنت يسمعك مائة وخمسين مليون عربي.. هل يسمعون بنفس المستوى الثقافي؟

عبد الحليم: لا.

نزار: طبعاً لا.. لأن كل واحد يفسرك ويفسرني كما يشتهي، وأعتقد أن هذا إضافة للقصيدة.

عبد الحليم: طب ممكن أسألك سؤال ولو أنه محرج شوية

نزار: تفضل.

عبد الحليم: هل استطاع الأستاذ الموجي كملحن أن يصور كلماتك كما أحسست بها؟

نزار: جداً.. يعني احنا تعبنا الموجي.. وأنت برضه حبسته بالفندق فترة كبيرة

عبد الحليم ضاحكاً: طب أعمل إيه؟

نزار: هو كان لازم يحبس حقيقة لأنه إنسان كان يجب أن ينضبط، والحمد لله نتيجة الانضباط مع الموجي، أنه طلع بأشياء عظيمة جداً. وأعتقد أن هذا العمل متكامل تماماً.

* * *

رسالة من تحت الماء

إنْ كُنْتَ صديقي . .
سَاعِدْني . . كَيْ أرحلَ عنكْ
أو كُنْتَ حبيبي . .
سَاعِدْني . . كَيْ أُشْفَى منكْ . .
لو أنِّي أعرفُ . .
أنَّ الحُبَّ خطيرٌ جِداً . . ما أحْبَبْتْ . .
لو أنّي أعرفُ . .
أنَّ البحرَ عميقٌ جِداً . . ما أبْحَرْتْ . .
لو أنّي أعرفُ خاتِمَتي . .
ما كُنْتُ بَدأتْ . .
إشْتَقْتُ إليكَ . . فعلِّمْنِي
أنْ لا أشتاقْ . .
علِّمني . .
كيفَ أقُصُّ جُذُورَ هَوَاكَ من الأعماقْ
علِّمْنِي . .
كيف تَمُوتُ الدَمْعَةُ في الأحداقْ . .
علِّمْني . . كيف يموتُ القلبُ . .
وتنتحرُ الأشواقْ . .
إنْ كُنْتَ حبيبي . .

خَلِّصْني من هذا السحْرْ..
مِنْ هذا الحب..
إنْ كُنْتَ قويّاً..
أخرِجعني مِنْ هذا اليَمْ
فأنا لا أعرفُ فنَّ العَوْمْ..
المَوْجُ الأزرقُ.. في عَيْنَيْكَ..
يُجَرْجِرُني.. نحو الأعْمَقْ..
أزْرَقْ..
أزْرَقْ..
لا شيء سوى اللون الأزْرَقْ
وأنا ما عندي تَجْرِبَةٌ
في الحُبِّ.. ولا عِنْدي زَوْرَقْ
إنْ كنتُ أعزُّ عليكَ..
فَخُذْ بيدّيْ..
فأنا عاشقةٌ.. من رأسي
حتى قَدَمّيْ..
إنّي أتنفَّسُ تحت الماءْ
إنِّي أغْرَقْ..
أغْرَقْ..
أغْرَقْ:..

من ديوان «قصائد متوحشة» ١٩٧٠

رسالة من تحت الماء

كلمات: نزار قباني

ألحان: محمد الموجي

غناء: عبد الحليم حافظ

إن كنت حبيبي ساعدني
كي ارحل عنك
أو كنت طبيبي ساعدني
كي أشفي منك
لو أني أعرف أن الحب
خطير جداً ما أحببت
لو أني أعرف أن البحر
عميق جداً ما أبحرت
لو أني أعرف خاتمتي
ما كنت بدأت
اشتقت إليك فعلمني
ألا أشتاق
علمني كيف أقص جذور
هواك
من الاعماق

علمني كيف تموت الدمعة
في الاحداق
علمني كيف يموت الحب
وتنتحر الاشواق
يا من صورت لي الدنيا
كقصيدة شعر
وزرعت جراحك في صدري
وأخذت الصبر
إن كنت أعز عليك
فخذ بيدي
فأنا مفتون من رأسي
حتى قدمي
يا كل الحاضر والماضي
يا عمر العمر
هل تسمع صوتي القادم
من أعماق البحر
إن كنت قوياً
أخرجني من هذا اليم
فأنا لا أعرف
فن العوم

الموج الأزرق في عينيك
يناديني نحو الاعمق
وأنا ما عندي تجربة في الحب
ولا عندي زورق
إني أتنفس تحت الماء
إني أغرق.. أغرق
أغرق.

لكني لا أعرف أبداً
أحزاناً تشبه أحزانك!!

وكأن نزار قباني كتب هذه القصيدة عن حياة عبد الحليم حافظ.. أو كأن عبد الحليم هو الذي كتبها ونزار هو الذي غناها.. فهي تعبير عن حياة عبد الحليم.. عن رجل عشق الحياة كحبيبة لكنه وجد طريقه فيها مليء بالآلام والأحزان والأمراض والوحدة والدموع.. وجد طريقه مسدود، فالحياة نائمة في قصر مرصود لا يستطيع أحد الوصول إليه أو الاقتراب منه حتى لو رأى طالبها ينام على سرير أبيض وملاءات بيضاء.. حتى لو كان طالبها يرقد في ضباب لندن يستجدي الحياة ولا أحد يجيبه.

وقد حققت هذه القصيدة لعبد الحليم جزءً كبيراً من مجده، لكنها حققت له أحزاناً لا مثيل لها.. فقد كانت قصيدة متعبة في تلحينها حيث كانت تقول (فحبيبة قلبك نائمة في قصر مرصود وكلاب تحرسه وجنود) ولم يستثيغ عبد الحليم الشطر الأخير وأراد تغييره واتصل بنزار قباني.. كان يتحدثان في كل مرة أكثر من ساعتين حتى وافق نزار على التعديلات وقد تكلفت مكالمات عبد الحليم لنزار ستة آلاف جنيه مصري وكان الدولار وقتها بـ ٣٩ قرشاً..

غنى حليم القصيدة عام ١٩٧٦ وقد هاجمته الصحافة ووصفته بالغرور والتعالي على الناس حيث قال جملة على المسرح صارخاً في الجمهور الذي لك يكف عن الصفير والصراخ.. قال (بس بقه).. وكان عبد الحليم يمر بمشاكل كبيرة أثناء التحضير لهذه القصيدة الذي استغرق ٤٥ يوماً فقط وكان الموجي قد تأخر في تلحينها.. وأجرى حليم بروفات كثيرة قبل يوم الحفل، ولم يكن راضياً عن نفسه وهو ذاهب لتلحين القصيدة، وقد قال له ابن خالته قبل صعود حليم على المسرح أن هناك مشكلة في الكاميرات.. وهنا تضايق حليم أكثر.. بل وزاد الطين بله أن سائقه قال له دون أن يعيي أن عبد الحليم قلق أنه سمع أن بعض الناس دخلوا الحفل للتهريج وإفساده، وصعد حليم المسرح وهو خائف قلق.. مهزوز..

صعد حليم فصفقت الجماهير وصفرت، بدأ الموسيقى وبعد فترة بدأ الصفير فأوقف الموسيقى حتى ينتهي الصفير ولكن هناك مجموعة ظلت تصفر بشكل

مستمر فقال غاضباً شاخطاً (بس بقه).. الذي لاحظ الأمر أكثرهم من شاهدوا الحفل من البيوت أمام شاشة التلفزيون، وهوجم حليم ثاني في الصحف بشكل رهيب.. لكن كتب عن روعة قارئة الفنجان أطنان من الورق.

وهكذا رسم القدر لعبد الحليم أن تكون قارئة الفنجان آخر ما يغنيه أمام الجماهير.. فقد غناها بعد ذلك في عدة حفلات في فندق شيراتون ونادي الجزيرة مرتين.

ويصف العمرس أيام الرحيل في لندن بقوله «كنت يومياً عندما أحضر إلى المستشفى واقترب من غرفة عبد الحليم - إذا لم أجده مكوماً على إحدى الكنبات التي في الممر - أجده في غرفته وأسمع من خارج الغرفة صوت الريكوردر وفيه قصيدة «قارئة الفنجان» على مقطع معين لا يتغير أبداً، في المكان الذي يقول «فطريقك مسدود يا ولدي»، وكنت أتأنى قبل فتح الباب أو الخبط على الباب، وأجد عبد الحليم يعيد المقطع من أوله ويستمع إليه «فطريقك مسدود يا ولدي».

وقد تكرر هذا كل يوم تقريبا، إلى أن في يوم فتحت الباب بعنف ودون أن أخبط عليه، وفوجئت بعبد الحليم نائماً وظهره إلى الباب والريكوردر داير على هذا المقطع، فدرت حول الفراش واتجهت إلى الناحية التي بها وجه عبد الحليم فوجدته غارقاً في الدموع فمددت يدي إلى المسجل وأوقفته واخرجت الشريط بسرعة وعنف وكسرت الكاسيت حتتين وقطعت الشريط قبل أن يتمكن عبد الحليم من منعي.

هنا نظر عبد الحليم نظرة منكسرة وقال بصوت ضعيف: ليه كده يا مجدي، حرام عليك ده أنا عيش على الحتة دي، ليه كده يا مجدي، طيب هات لي شريط تاني بقى، أرجوك.

فقلت له: يا عبد الحليم، لا أنا ولا حد تاني حايجيب لك هذا الشريط تاني، وسوف أمنع الجميع من أن يجعلوا يدك تصل إلى هذا الشريط أبداً، هو ده معقول يا عبد الحليم؟ طول النهار والليل «فطريقك مسدود»!! يلعن أبو دا مقطع ما تخلنيش أكره الغنوة وأكره نفسي اللي تمسكت أنك تغنيها، يا عبد الحليم لازم تخرج

من المودوالحـالة دي وربنا قـادر يفـتح كل طريق مـسـدود،وإن شـاء الله كل شيء تمام وجميع الطرق تفتح في وجهك وترجع كما كنت تغني «من غير ليه» كمان، بس قول «يارب» زي عـادتك وربك أكـبـر من الجـميع، وفـعـلاً منعت الجـمـيع أن يمكنوا عبـد الحليم من أن يحضر هذا الشريط عن طريقهم أو أي طريق آخر، وأنا لا أستطيع أن أسـامح نفسي حتى اليوم على قسوتي على عبـد الحليم في هذا الموقف، فقـد ظل عبد الحليم باستمرار غاضباً مني ويبحث عمن يحضر له «قارئة الفنجان».

قارئة الفنجان

جَلَستْ.. والخوفُ بعينيْها
تتأمَّلُ فنجاني المقلوبْ
قالتْ: يا ولَدي. لا تحزنْ
فالحبُّ عليكَ هو المكتوبْ
يا ولَدي. قد ماتَ شهيداً..
مَنْ ماتَ على ... المحبوبْ..

*

فنجانُكَ.. دنيا مُرْعبةٌ
وحياتُك أسفارٌ.. وحُروبْ
ستُحِبُّ كثيراً وكثيرا
وتموتُ كثيراً وكثيرا
وَستعشقُ كلَّ نساءِ الأرض..
وترجعُ.. كالمِلكِ المغلوبْ..

*

بحياتِكَ، يا ولَدي، امرأةٌ
عيناها.. سُبْحانَ المعبودْ
فَمُها.. مَرْسُومٌ كالعُنْقُودْ

ضِحْكَتُها . . مُوسيقى ووُرُودْ
لكنَّ سماءَكَ مُمْطِرةٌ
وطريقُكَ . . مسدودٌ . . مسدودْ . .

*

فحبيبةُ قلبكَ . . يا وَلَدي
نائمةٌ . . في قصرٍ مرصودْ
والقصرُ كبيرٌ . . يا وَلَدي
وكلابٌ تحرسهُ وُجُنودْ
وأميرةُ قلبكَ . . نائمةٌ
مَنْ يطلبُ يَدَها . . مَنْ يدنو
مِن سورِ حديقتها مفقود
مَنْ حاولَ فَكَّ ضفائرها
يا وَلَدي . . مفقودٌ . . مفقودْ . .

*

بصَّرتُ . . ونجَّمتُ كثيراً . .
لكنِّي . . لم أقرأْ أبداً . .
فنجاناً يُشْبِهُ فنجانَكْ
لم أعرفْ أبداً . . يا وَلَدي
أحزاناً . . تُشْبِهُ أحزانَكْ
مقدُورُكَ أنْ تمشي أبداً

في الحبِّ . . على حَدِّ الخِنجَرْ . .
وتظلَّ وحيداً كالأصدافْ
وتظلَّ حزيناً كالصفصافْ
مقدُورُكَ أن تمضي أبداً
في بحر الحُبِّ بغير قلوعْ
وتُحبَّ ملايينَ المرَّات . .
وترجعَ . . كالمِلكِ المخلوعْ

من ديوان «قصائد متوحشة» ١٩٧٠

قارئة الفنجان

كلمات: نزار قباني

ألحان: محمد الموجي

غناء: عبد الحليم حافظ

جلست والخوف بعينيها
تتأمل فنجاني المقلوب
قالت يا ولدي لا تحزن
فالحب عليك هو المكتوب
يا ولدي
بصرت ونجمت كثيراً
لكني لم أقرأ أبداً
فنجاناً يشبه فنجانك
بصرت ونجمت كثيراً
لكني لم أعرف أبداً
أحزاناً تشبه أحزانك
مقدورك أن تمضي أبداً
في بحر الحب بغير قلوع
وتكون حياتك طول العمر
كتاب دموع

مقدورك أن تبقى مسجوناً
بين الماء وبين النار
فبرغم جميع سوابقه
وبرغم جميع حرائقه
وبرغم الحزن الساكن فينا ليل نها
وبرغم الريح
ورغم الجو الماطر والاعصار
فالحب سيبقى يا ولدي
أحلى الأقدار
بحياتك يا ولدي امرأة
عيناها سبحان المعبود
فمها مرسوم كالعنقود
ضحكتها أنغام وورود
والشعر الغجري المجنون
يسافر في كل الدنيا
قد تغدو امرأة يا ولدي
يهواها القلب . . هي الدنيا
لكن سماءك ممطرة
فحبيبة قلبك يا ولدي
نائمة في قصر مرصود

من يدخل حجرتها . . من يطلب يدها
من يدنو من سور حديقتها
من حاول فك ضفائرها
يا ولدي مفقود . . مفقود
ستفتش عنها يا ولدي
في كل مكان
وستسأل عنها موج البحر
وتسأل فيروز الشطآن
وتجوب بحاراً وبحاراً
وتفيض دموعك أنهارا
وسيكبر حزنك حتى تصبح
أشجاراً . .
وسترجع يوماً . . يا ولدي
مهزوماً مكسور الوجدان
وستعرف بعد رحيل العمر
بأنك كنت تطارد خيط دخان
فحبيبة قلبك ليس لها أرض
أو وطن أو عنوان
ما أصعب أن تهوى امرأة
يا ولدي . . ليس لها عنوان

وزعمت لي أن
الرفـــاق أتـــوا إليـــــك!..

فايزة أحمد ونزار قباني..

الصوت الذي لا يشبه صوتاً آخر والشعر الذي لا يكتبه سوى شاعر واحد.. المرأة التي إذا غنت أطربت الحجر وأبكت الجبل والشاعر الذي يكتب كالطوفان..

تجرأ نزار قباني وصور الخيانة بدقة عالية فكانت فايزة أحمد أكثر جرأة ففنت الخيانة..

اختار الملحن محمد سلطان قصيدة «رسالة من سيدة حاقدة» ليلحنها.. وأسقط بعض الكلمات والشطرات الشعرية من القصيدة.. وقد منعت القصيدة في العديد من الدول العربية فبلاد العرب تسمح بالغيرة لكن أن تصل بالاتهام المتلبث بالخيانة فهذا مالا تسمح به؟!

طلب سلطان حذف «لا تعتذر يا نذل لا تتأسف ليصير «لا تعتذر أبداً ولا تتأسف، أنا لست أسفة عليك، لكن على قلبي الوفي، قلبي الذي لم تعرفِ، يا من على جسر الدموع تركتني، أنا لست أبكي منك، بل أبكي عليك.

كذلك حذفت كلمة «يا دني» حيث يقول نزار «ماذا لو أنك

يا دني

أخبرتني

أني انتهى أمري لديك.

وصارت بعد التعديل «ماذا لو أنك يا رفيق العمر أخبرتني، أني انتهى أمري لديك».

كما تغير اسمها إلى «رسالة إلى امرأة».

ولم تحقق القصيدة النجاح الذي توقعه لها الثلاثة نزار وسلطان وفايزة.. ليس لعيب في أحدهما ولكن لجرأتها ولرفض المرأة تصديق الخيانة - في حالات كثيرة - خاصة إذا كانت تمس حبيبها أو وزجها فهي إبقاء على «العشرة» وعلى الحب الذي تكنه في قلبها تحاول التبرير للرجل.. وبقيت بصوت فايزة أحمد أغنية لا تقاوم.

رسالة من سيدة حاقدة

لا تدخلي . .
وسددت في وجهي الطريق بمرفقيك
وزعمت لي أن الرفاق أتوا إليك
أهم الرفاق أتوا إليك
أم أن سيدة لديك
تحتل بعدي ساعديك؟
وصرخت محتدماً: قفي!
والريح تمضع معطفي
والذل يكسو موقفي
لا تعتذر يا نذل لا تتأسف . .
أنا لسْت آسفة عليك
لكن على قلبي الوفي
قلبي الذي لم تعرفِ
ماذا؟ لو أنك يا دني
أخبرتني
أني انتهى أمرى لديك . .
فجميع ما وشوشتني
أيام كنت تحبني

من أنني . .
بيت الفراشة مسكني
وغدي انخراط السوسن . .
أنكرته أصلاً كما أنكرتني . .
لا تعتذر . .
فالاثم يحصد حاجبيك
وخطوط أحمرها، تصيح بوجنتيك
ورباطك المشدود . . يفضح
ما لديك . . ومن لديك
يا من وقفت دمي عليك
وذللتني، ونفضتني
كذبابة عن عارضيك
ودعوت سيدة إليك
وأهنتني
من بعد ما كنت الضياء بناظريك
إني أراها في جوار الموقد
أخذت هنالك مقعدي . .
في الركن . . ذات المقعد
وأراك تمنحها يداً
مثلوجةً . . ذات اليد

ستردد القصص التي أسمعتني
ولسوف تخبرها بما أخبرتني
وسترفع الكأس التي جرعتني
كأساً بها سممتني
حتى إذا عادت إليك
لترود موعدها الهني
أخبرتها أن الرفاق أتوا إليك
وأضعت رونقها كما ضيعتني

رسالة إلى امرأة

كلمات: نزار قباني

ألحان: محمد سلطان

غناء: فايزة أحمد

لا تدخلي . . وسددت في وجهي الطريق
بمرفقيك
وزعمت لي أن الرفاق أتوا إليك
أهم الرفاق أتوا إليك
أم أن سيدة لديك
تحتل بعدي ساعديك
وصرخت محتدماً قفي
والريح تمضغ معطفي
لا تعتذر . . أبداً . . ولا تتأسفِ
أنا لست آسفة عليك
لكن على قلبي الوفي
قلبي الذي لم تعرف
يا من على جسر الدموع تركتني
أنا لست أبكي منك
بل أبكي عليك

ماذا لو أنك يا رفيق العمر
قد أخبرتني
أني انتهى أمري لديك
فجميع ما وشوشتني
أيام كنت تحبني
قد بعته في لحظتين وبعتني
لا تعتذر
فخطوط أحمرها تضيء
بوجنتيك
ورباطك المذعور يفضح ما لديك
ومن لديك
يا من وقفت دمي عليك
وذللتني
ودعوت سيدة إليك
ونسيتني
من بعد ما كنت الضياء بناظريك
أنا لست آسفة عليك.

قد كتبنا وأرسلنا المراسيلا

فيروز في كفة ومطربات العالم كله في كفة أخرى.. ليس هذا تحيزا لامرأة أعرفها ولكنها بطاقة حب لصوت كان معي في فرحي وحزني.. في آلامي وسعادتي.. كان يلمس جبيني برفق مثلما كانت أشعار نزار قباني تلمس قلبي في بواكير حياتي.

كنت أحس أنها حالة خاصة متفردة تختلف عن أي مطربة أخرى في كل شيء.. وللأسف لم تتعاون مع نزار إلا في عدد محدود من الأغاني، وقد سئل نزار عن هذا ذات مرة فقال «فيروز من حيث الشعر كانت مكتفية اكتفاءً ذاتياً، فزوجها الراحل عاصي الرحباني كان شاعراً كبيراً، وسلفها منصور كان شاعراً بارزاً، ولكن هذا لم يمنع فيروز من أن تغني لي قصيدتين من ديواني «أنت لي» وهما: «لا تسألوني ما اسمه حبيبيي» و«وشاية» كما غنت لي في السبعينيات قصيدة ثالثة، وكانت في معرض دمشق الدولي».

كان بالامكان الاثنين أن يقدما أعمالا رائعة لكن فيروز لم تكن تلاحق أعمال الرحابنة وأشعار سعيد عقل.. كان نزار يرى في فيروز نموذجاً فريداً ومدهشاً يحمل حالة مزاجية خاصة تختلف عن غيرها.. وكان يعشق صوتها ويستمع إليه كثيراً.. وكثيراً ما تجده يشير إليها في كتاباته سواء الشعرية أو النثرية.. لقد كان نزار وفيروز نموذج الابداع الشامي الذي لا يتكرر إلا في بيئة ذات تربة صادقة في بذورها التي تغرسها وفي رعايتها لها لذا كلما فكرت أن أكتب عن أحدهما أحس بالرهبة وبجفاف قلمي أمام حالة الاندهاش التي أصاب بها حيث أستمع إلى فيروز أو أقرأ لنزار قباني.. وقد لحن الرحابنة هذه القصائد الثلاث «موال دمشقي» و«لا تسألوني» و «وشاية».

موال دمشقي

لقـــد كَـتَـبْـنَا.. وأرسَلْـنَا المراســـيـلا
وقـــــد بـكَـيْـنَـا.. وبـلَّـلْـنـا المـنـاديـلا
قُـلْ للـذينَ بـأرض الـشـــام قـــد نَزَلُـوا
قـتـــيلُكُمْ لـم يَزَلْ بالعـــشق مـقْـتُـولا..
يا شـــامُ! يـا شَـــامـــةَ الدُنْـيـــا، وَوَرْدَتَهـــا
يا مَـنْ بحـــسنـكِ أوجَـــعْـتِ الأرامـــيـــلا
ودِدْتُ لو زَرَعُـــونـي فـــيـكِ مِـــئْـــذَنَةً
أو عـلَّـقُـــــونـي عـلـى الأبـواب قـنْـديـلا
يا بَـلْدَةَ السَـــبْـــعَـــةِ الأنـهـــارِ.. يا بَـلَدي
ويا قـمـــيـصـاً بزَهْرِ الخـوخ مَـــشْـغُـولا
ويـا حِـــصَـــاناً تـخلَّـى عن أعِـنَّتِـــه
وراحَ يفـــتـحُ مـــعلومـــاً، ومَـــجْـهُـــولا
هـواكَ يا بَـرَدي، كـــالســـيف يسكُـنُنِـي
ومـــا ملـكتُ لأمـــر الحُبّ تبـــديـلا
مـا للـدمـشْـقـيَّـة الكـانَتْ حـبـيـبـتَنَا
لا تـذكُـــرُ الآنَ طَـعْمَ الـقُـــبّـلة الأُولـى
أيَّـامَ في دُمَّـــرٍ كُنَّـا.. وكـــان فَـــمـي

على ضـفـــائرِهـا.. حَـفْـــراً.. وتَنْـزِيلا..
والنَـهْـــرُ يُسْـــمِـــعُنا أحلى قـــصـــائده
يا مَـنْ على ورق الـصـــفـــصـــاف يكتُـبُـني
شِـــعْـــراً.. وينقـــشُني في الأرض أيـلولا
يا مَـنْ يعـيـــدُ كـــراريسي.. ومـــدرسَـــتي
والـقـــــــمحَ، واللـوزَ، والـزُرْقَ المـواويـلا
يا شـــامُ، إنْ كنـتُ أُخـفـي مـــا أُكـــابدُهُ
فـأجـملُ الحُبّ حُـبٌّ - بَعْـدُ - مـا قِـيـلا...

من ديوان «الأعمال السياسية الكاملة» ١٩٩٣

موال دمشقي

كلمات: نزار قباني

ألحان: الاخوين رحباني

غناء: فيروز

قـد كـــتـبنـا وأرسلنا المراســـيـلا
وقـــــد بـكيـنا وبلـلنـا المنـاديلا
قل للذين بـأرض الشـام قـد نزلوا
قـتيلكم لم يزل بـالعشق مـقتـولا
يا شـام يا شـامة الدنيـا ووردتهـا
يا من بحـسنك أوجعت الأزامـيلا
وددت لو زرعـوني فـيك مـئـذنة
أو علقـــوني على الأبـواب قنديلاً
يا بلدة السـبعة الانهـار.. يا بلدي
ويا قمـيصاً بـزهر الخوخ مشـغولاً
هواك يا بلدي.. كالسيف يسكنني
ومـا مـلكت لأمـر الحب تبـــديلا

حبيبي

لا تســـألوني.. مـــا اسـمُـهُ حـــبـيـــبي
أخـــشى عـليـكُم ضَـــوْعَـــةَ الـطيـــوبِ
زِقُّ العـــبـــيـــر إنْ حطـمـــتُـمُـــوهُ
عـــــرفـــــتُمُ بـعـــــاطـرٍ سكيـبِ
والـلـــه. لـو بـحـــتُ بـأيِّ حـــــــرفٍ
تـــكـــدَّسَ الـــلَّـيْـــلـــكُ فـي الـــدروب
لا تبـــحـــثـــوا عنـهُ هُنَـا بصـــدري
تـركـــتُـــهُ يجـــري مع الـغـــروبِ
تـرونَـهُ في ضـــــحكـة الســـــواقـي
فـي رَفَّـــةِ الـفـــراشـــة الـلـعُـــوبِ
فـي البـــــحـــــر، في تـنـفُّـسِ المراعـي
وفـــي غـــنـــاءِ كُـــلِّ عـــنـــدلـيـــبِ
فـي أدمـعِ الشـــــتـــــاءِ حـين يبـكـي
وفـــي عـطـــاء الـــديمـــةِ الـسَـكُـــوبِ
لا تســـألـوا عن ثـغـــره.. فـــهـــلاَّ
رأيـتُـمُ أنـاقـــــــةَ المـغـــــيب
ومـــــقـلتـــــاهُ شـــــاطئـــــا نـقـــــاءِ

مـــحـــاسنٌ.. لا ضـــمَّـــهـــا كـــتـــابٌ
ولا ادعـــتـــهـــا ريـشـــة الأديـبِ
وصـــدرُهُ.. ونحـــرُهُ.. كـــفـــاكمْ
فلـنْ أبوحَ بـاســـمـــهِ حـــبـــيـــبي

من ديوان «أنت لي» ١٩٥٠

لاتسألوني

كلمات: نزار قباني

ألحان: الاخوين رحباني

غناء: فيروز

لا تسألوني ما اسمه حبيبي
أخشى عليكم ضيعة الطيوب
والله لو بحت بأي حرف
تكدس الليلك في الدروب
لا تسألوني ما اسمه حبيبي
ترونه في ضحكة السواقي
في رقصة الفراشة اللعوب
في البحر.. في تنفس المراعي
وفي غناء كل عندليب
في أدمع الشتاء حين يبكي
وفي عطاء الديمة السكوب
محاسن لاضمها كتابب
ولا ادعتها ريشة الأديب
لا تسألوني ما اسمه
كفاكم
فلن أبوح باسمه حبيبي

وشـــايـــة

أأنـت الذي يـا حـــبـــيـــبي.. نـقلـت
لزُرق الـعـــصـــافـــيـــر أخـــبـــارنا!
فـجـاءت.. جـمـوعـاً جـمـوعـاً تدق
مناقـــيـــرهـا الحـــمـــر شـبُـاكـنا
وتغـــرق مـــضـــجـــعنا زقـــزقـــات
وتـغـــمـــر بـالـقش أبـوابـنـا
ومـن أخـــبـــر الـنـحل عـن دارنـا
فـــجـــاء يـقـــاســـمنا دارنـا
وهـل قـلـت لـلـورد حـــتى تـدلـى
يـزركـش بـالـنـور جـــدرانـنـا!
ومـن قص قـــصـــتنا لـلـفـــراش
فـــراح يـلاحـق آثـارنـا
سـيـفـضـحنا يا حـبـيـبي العـبـيـر
فـقـد عـرف الطيب مـيـعـادنا

وشـايـــــة

كلمات: نزار قباني

ألحان: الاخوين رحباني

غناء: فيروز

أأنت الذي يا حبيبي . . نقلت
لزُرق العصافير أخبارنا؟
فجاءت . . جموعاً جموعاً . . تدق
شباكنا
وتغرق مضجعنا زقزقات
وتغمر بالقش أبوابنا
ومن أخبر النحل عن دارنا
فجاء يقاسمنا دارنا
وهل قلت للورد حتى تدلى
يزركش بالنور جدراننا؟
ومن قص قصتنا للفراش
فراح يلاحق أثارنا
سيفضحنا يا حبيبي العبير
فقد عرف الطيب ميعادنا

ماجدة الرومي تهرب بالحب
من صقيع الـ«تيك اواي»!..

سقط الحب في نهر «التيك أواي».. لم يعد كما كان رسائل وابنة جيران وهمس ورعشات استباق الكلام من المحب الولهان إلى حبيبته

تغير العصر وحمل كل من ابن الملوح وعروة بن الورد هاتف محمول وعن طريق «البلوتوث» استطاعا الحصول على أرقام عشرات الفتيات في المولات وهكذا دمرت التكنولوجيا أجمل ما في الإنسان.. دمرت قلبه.. أصبحت مشاعره مثل ساندوتش الهوت دوج الساخن الذي إذا ترك دقائق لا يأكل من فرط برودته.

في يوم واحد يقع الفتى والفتاة في الحب.. وفي ذات الأسبوع إن لم يكن ذات اليوم يمسك بيديها ويقبلها ويأخذها معه إلى...

حتى «الكلمات» ما عاد لها طعم فصارت الاغاني ضجراً بعدما كان عبد الحليم يغني «فوق الشوق مشاني زماني وقال لي تعالى نروح للحب» جاء علي حميدة ليغني «لولاكي.. لولا لولا» ويطير الشباب المعجون عجلة بالاغنية ويستمع إليها العاشق وهو جالس مع حبيبته.. لكنه لن يصل إلى تلك اللحظة من السمو في العشق التي قدمها عبد الحليم وزبيدة ثروت وهي يغني لها «بأمر الحب افتح قلبك للهوى وسلم».

كنا بحاجة إلى من يوقظ «زعيقنا» الغنائي.. كنا بحاجة إلى كلمات نزار بعدما رحل جيل العظماء عن الغناء كنا بحاجة إلى أن نحب بشكل صحي، وأن نستمع إلى أغاني تعيد إلينا الحب الحقيقي ذلك الكائن المسكون دوماً بالدهشة حتى جاءت ماجدة الرومي وسرقت النار من دواوين نزار قباني.. جاء بكلمات ليعرف الشباب نوع آخر من أنغام الحب الراقص تختلف عن حب «الديسكو». و«الدانص».. جاءت لتغني «يسمعني حين يراقصني.. كلمات ليست كالكلمات».. وكانت ماجدة تحلم بالغناء لنزار قباني حتى صرحت في أحد حواراتها الصحفية أنها تربت كسائر أبناء جيلها على كلمات نزار قباني وأنها قرأت له كثيراً وتتمنى أن تغني له، لكنها لا تعرف إليه طريقاً.. وكان نزار المتابع دوماً من ضباب لندن حيث يعيش ما يجري على الساحة الفنية في الوطن العربي قد قرأ هذا الحوار، وإذا به يكتب إليها رسالة ويرسل بها إلى بيروت يخبرها بإعجابه بصوتها وأنها لو احتاجت لأي مشورة فلا

تخجل من أن تطلبها منه وأنه يسعده أن تغني إحدى قصائده.. وجاء «كلمات» التي حمل الألبوم نفسه اسمها فحققت نجاحاً كبيراً من المحيط إلى الخليج وخرج الملحن اللبناني إحسان المنذر بلحن متميز للقصيدة.. وبعد نجاح «كلمات» اختارت ماجدة الرومي عدة قصائد أخرى لنزار قباني لتغنيها وهي «مع جريدة» و«بيروت ست الدنيا» من ألحان الدكتور جمال سلامه و«طوق الياسمين» من ألحان كاظم الساهر.

تقول ماجدة الرومي عن نزار «لقد جعلتني قصائده أتذوق الشعر، وأحس بالكلمة وأنا أغنيها إحساساً داخلياً عميقاً.. حتى أكاد أشعر وأنا على المسرح بأنني سوف أخرج من جسدي.. إنها حقيقة مشاعر داخلية.. أكبر وأعمق من كل الكلمات».

لكن نزار لم يستمع إلى «طوق الياسمين» كان الرحيل أسرع فقد مات نزار قبل موعد الحفل الذي كانت ستغني فيه القصيدة بليلة واحدة في شهر مايو ١٩٩٨، والذي أجل هذه القصيدة أنه بعد حصول ماجدة الرومي على موافقة نزار لغنائها طلبت منه تعديل بعض الكلمات والمقاطع حتى تكون صالحة لصوتها، وفوجئ نزار بكاظم الساهر يطلبه ويقول له أنه بدأ في تلحين «طوق الياسمين» ليغنيها فقال له نزار إن ماجدة الرومي هي التي ستغني هذه القصيدة وأنه تنازل لها عنها.. وهنا اتفق كاظم مع ماجدة على أن يلحن لها القصيدة وهو ما حدث بالفعل. وبعد رحيله قالت ماجدة الرومي «نزار كان يعبر عن أحلام الشباب في الوطن العربي على امتداد نصف قرن من الزمان، وكان قلعة تدافع عن كرامة وحرية الإنسان العربي وعن تحرير أرضه.. لم يكن نزار بالنسبة لي مجرد شاعر أعجبت بقصائده وغنيت له، بل أستاذ تعلمت على يديه الكثير عن الشعر، وعن الوطن وعن لغة القلب، وكغيري من بنات جيلي تأثرت بقصائده الملونة ومشاعره المرهفة، وكنت كلما أردت أن اختار إحدى قصائده الوطنية أو العاطفية.. أغرق في حيرة، فكلها تصلح للغناء، وكلها تلمس أوتار القلوب، وأعتبر نفسي محظوظة لأنني حصلت منه على موافقته بغناء أربع قصائد منها قصيدة عن سوريا.

ونزار الذي يقدر الفن جيدا أسأله أحد الزملاء عن قصيدته «يا ست الدنيا يا

بيروت» فقال: اكتشافي للملحن جمال سلامة كان فرحة حقيقية، ذلك أن اللحن الذي وضعه لقصيدتي «يا ست الدنيا يا بيروت» كان على مستوى نشيد «المارسيليز» الفرنسي أي لحناً بدون تطريب، وبدون ميوعة،وبدون هز خصر، فالقصيدة تطالب بيروت بأن تنهض من موتها كطائر الفينيق:

قومي من حزنك، إن الثورة تولد من رحم الاحزان، قومي كقصيدة نار، قومي إكراماً للغابات، وللانهار، وللوديان، قومي إكراماً للإنسان، يا بيروت.. يا بيروت.. يا بيروت

مثل هذه الكلمات المتشنجة العاصفة.. العصبية.. كانت بحاجة إلى لحن متشنج وعاصف يعبر عنها، وأنا سعيد أن الموسيقار جمال سلامة كان على مستوى قلقي وتوتري، وكذلك كان أداء السيدة ماجدة الرومي.. بصوتها الأوبرالي القوي وإيمانها الذي لا يقهر بعودة لبنان وطناً للشعر والجمال والحب كما كان».

* * *

كلـمـات

يُسْمِعُني . . حين يُراقِصُني
كَلِمَات . . ليستْ كالكَلِمَات
يأخذني من تحت ذراعي
يزرعُني في إحدى الغَيْمَاتْ
والمَطَرُ الأسودُ في عَيْني
يتساقطُ زخَّات . . زَخَّاتْ
يَحْمِلُني . . معهُ . . يَحْمِلُني
لمساءٍ ورديِّ الشُرُفَاتْ
وأنا كالطفلة في يدِهِ
كالريشةِ تحملُها النَسَمَاتْ
يحملُ لي سَبْعَةَ أقمارٍ
بيديهِ . . وحُزْمَةَ أُغنيَّاتْ
يُهْديني شمساً . . يُهْديني
صيفاً . . وقطيعَ سُنُونُوَّاتْ
يُخبرني أنّي تُحْفَتُهُ
وأساوي آلافَ النَجْماتْ
وبأنّي كنزٌ . . وبأنّي

أجملُ ما شاهدَ من لوحاتْ
يروي أشياء . . تدوَّخُني
تنسيني المرقص والخَطَواتْ
كَلِمَات . . تقلبُّ تاريخي
تجعلني امرأةً . . في لحَظَاتْ
يبني لي قَصْراً من وَهْم
لا أسكُنُ فيه سوى لحَظَاتْ
وأعودُ . . أعودُ لطاولتي
لا شيءَ معي . . إلاَّ كَلِمَاتْ

كلمـــات

كلمات: نزار قباني

ألحان: إحسان المنذر

غناء: ماجدة الرومي

يسمعني حين يراقصني
كلمات ليست كالكلمات
يأخذني من تحت ذراعي
يزرعني في أحلى الغيمات
والمطر الاسود في عيني
يتساقط زخات زخات
يحملني معه يحملني
لمساءِ وردي الشرفات
وأنا كالطفلة في يده
كالريشة تحملها النسمات
يهديني شمساً. . يهديني
صيفاً. . وقطيع سنونوات
يخبرني أني تحفته
وأساوي آلاف النجمات
وبأني كنز وبأني
أجمل ما شاهد من لوحات

يروي أشياء تدوّخني
تنسيني المرقص والخطوات
كلمات تقلب تاريخي
تجعلني امرأة في لحظات
يبني لي قصراً من وهم
لا أسكن فيه سوى لحظات
وأعود. . أعود لطاولتي
لا شيء معي إلا كلمات

* * *

مع جريدة

أخرج من معطفه الجريدة وعلبة الثقاب
ودون أن يلاحظ اضطرابي
ودونما اهتمام
تناول السكر من أمامي
وذوب في الفنجان قطعتين
ذوبني . . ذوبَ قطعتين
وبعد لحظتين
دون أن يراني
ويعرف الشوق الذي اعتراني
تناول المعطف من أمامي
وغاب في الزحام
مخلفاً وراءه . . الجريدة وحيدة
مثلي أنا وحيدة .

مع جريدة

كلمات: نزار قباني

ألحان: كاظم الساهر

غناء: ماجدة الرومي

أخرج من معطفه الجريدة
وعلبة الثقاب
ودون أن يلاحظ اضطرابي
ودونما اهتمام
تناول السكر من أمامي
ذوّب في الفنجان قطعتين
وفي دمي ذوّب وردتين
ذوبني.. لملمني.. بعثرني

* * *

شاربت من فنجانه
سافرت في دخانه
وما عرفت أين

* * *

كان هناك جالساً
ولم يكن هناك يطالع الأخبار

وكنت في جواره تأكلني الأفكار
تضربني الأمطار
يا ليت هذا الرجل المسكون بالأفكار
فكر أن يقرأني
ففي عيوني أجمل الأفكار

* * *

وبعد لحظتين . . ودون أن يراني
ويعرف الشوق الذي اعتراني
تناول المعطف من أمامي
مخلفاً ورائه الجريدة .
وحيده
مثلي أنا . . وحيده

* * *

يا ست الدنيا يا بيروت..

١

يا ستَّ الدنيا يا بيروتْ..
مَنْ باعَ أساورَكِ المشغولةَ بالياقُوتْ؟
مَنْ صادرَ خاتَمَكِ السحريَّ،
وقصَّ ضفائرَكِ الذهبيَّهْ؟
من ذَبَحَ الفَرحَ النائمَ في عينيكِ الخضراوينْ؟
من شطّبَ وجهكِ بالسكّينِ،
وألقى ماءَ النار على شفتيكِ الرائعتينْ
من سمَّمَ ماءَ البحر، ورشَّ الحقدَ على الشُطآنِ الورديَّة؟
ها نحن أتيْنا.. معتذرينَ.. ومُعْتَرفينْ
أنَّا أطلقنا النارَ عليكِ بُروحٍ قَبَليَّهْ..
فقتلنا امرأةً.. كانتْ تُدعى (الحريَّهْ)..

٢

ماذا نتكلَّمُ يا بيروتُ..
وفي عينيكِ خلاصةُ حُزْن البشريَّهْ
وعلى نهديكِ المُحْتَرقَيْن.. رمادُ الأهليَّهْ
من كان يُفكّرُ أن نتلاقى - يا بيروتُ - وأنتِ خرابْ؟
من كان يُفكّرُ أن تنمو للوردة آلافُ الأنيابْ؟

من كان يُفكّرُ أنَّ العينَ تقاتلُ في يومٍ ضدَّ الأهدابْ؟
ماذا نتكلَّمُ يا لؤلؤتي؟
يا سُنْبلتي.. يا أقلامي.. يا أحلامي..
يا أوراقي الشعريَّهْ..
من أينَ أتتْك القَسْوَةُ يا بيروتُ،
وكنتِ برقَّةِ حُوريَّهْ..؟
لا أفهمُ كيف انقلب العُصْفورُ الدُوريُّ..
لقطّةِ ليلٍ وحشيَّهْ..
لا أفهمُ أبداً يا بيروتْ
لا أفهمُ كيف نسيتك..
وعُدْت لعصر الوثنيَّهْ..

٣

قُومي من تحت الموج الأزرقِ، يا عَشْتَارْ
قُومي كقصيدة وردٍ..
أو قُومي كقصيدة نارْ
لا يُوجَدُ قَبْلَكِ شيءٌ.. بَعْدَكِ شيءٌ.. مِثْلكِ شيءٌ..
أنتِ خلاصاتُ الأعمارْ..
يا حقلَ اللؤلؤِ..
يا ميناءَ العشقِ..
ويا طاووسَ الماءْ..
قُومي من أجل الحُبّ، ومن أجل الشعراءْ

قومي من أجل الخبز، ومن أجل الفقراءْ
الحبُّ يريدُكِ.. يا أحلى الملكاتْ....
ها أنتِ دفعتِ ضريبةَ حسنكِ مثلَ جميع الحسناواتْ
ودفعتِ الجِزْيةَ عن كُلِّ الكَلِمَاتْ..

٤

قُومي من نومك..
يا سُلْطانةُ، يا نوَّارةُ، يا قنديلاً مشتعلاً في القلبْ
قُومي كي يبقى العالمُ يا بيروتُ..
ونبقى نحنُ..
ويبقى الحُبّ..
قُومي.. يا أحلى لؤلؤةٍ أهداها البَحرْ
الآنَ عرفنا ما معنى..
أن نقتل عُصْفُوراً في الفجرْ
الآنَ عرفنا ما معنى..
أن ندلقَ فوق سماء الصيف زُجَاجةَ حِبرْ
الآنَ عرفنا..

٥

يا سِتُ الدنيا يا بيروتْ..
يا حيثُ الوعدُ الأوَّلُ.. والحبُّ الأوَّلْ..
يا حيث كتبنا الشعرَ.. وخَبَّأناه بأكياسِ المُخْمَلْ..
نعترفُ الآنَ.. بأنَّا كُنَّا يا بيوتُ،

نُحبُّكِ كالبَدْو الرُحَّلْ..
ونُمارسُ فعْلَ الحُبّ.. تماماً
كالبَدْو الرُحَّلْ...
نعترفُ الآنَ.. بأنهكِ كُنْتِ خليلَتَنَا
نأوي لِفراشِكِ طولَ الليل...
وعند الفجر، نهاجرُ كالبدو الرُحَّلْ
نعترفُ الآنَ.. بأنَّا كُنَّا أُمِيّينَ..
وكنّا نجهلُ ما نفعلْ..
نعترفُ الآنَ، بأنَّا كُنَّا من بين القَتَلَهْ..
ورأينا رأسَكِ..
يسقُطُ تحت صُخُور الرَوْشة كالعصفورْ
نعترفُ الآنَ..
بأنَّا كُنَّا - ساعةَ نُفِّذَ فيكِ الحُكْمُ -
شُهُودَ الزورْ..

٦

نعترفُ أمام الله الواحِدِ..
أنَّا كنَّا منكِ نَغارُ..
وكانَ جمالُكِ يؤذينا..
نعترفُ الآنَ..
بأنَّا لم نُنْصِفْكِ.. ولم نَعْذُرْكِ.. ولم نَفْهَمكِ..

وأهدَيْناكِ مكانَ الوردةِ سكّينَا . . .
نعترفُ أمامَ الله العادلِ . . .
أنَّا راوناكِ . . وعاشرناكِ . . وضاجعناكِ . .
وحَمَّلناكِ معاصينا . .
يا ستَّ الدنيا، إنَّ الدنيا بعدكِ ليستْ تكفينا . .
الآنَ عرفنا . . أنَّ جذوركِ ضاربةٌ فينا . .
الآنَ عرفنا . . ماذا اقترفتْ أيدينا . .

٧

. . . . . يفتّشُ في خارطة الجنّة عن لُبنانْ
والبحرُ يفتّشُ في دفتره الأزرقِ عن لُبنانْ
والقَمَرُ الأخضرُ . .
عادَ أخيراً كي يتزوَّجَ من لُبنانْ . .
أعطيني كفَّكِ يا جوهرةَ الليل، وزنبقةَ البلدانْ
نعترفُ الآنَ . .
بأنَّا كنَّا ساديينَ، ودَمَوَيينَ . .
وكُنَّا وكلاءَ الشيطانْ
يا ستَّ الدنيا يا بيروتْ . .
قومي من تحت الرَدْم، كزهرة لوزٍ في نيسانْ
قومي من حُزْنكِ . .
إنَّ الثورةَ تُولَدُ من رَحِم الأحزانْ
قومي إكراماً للغاباتِ . .

وللأنهار . .
وللوديان
قُومي إكراماً للإنسانْ . .
إنَّا أخطأنا يا بيروتُ . .
وجِئْنَا نلتمسُ الغُفْرانْ . .

٨

ما زلتُ أُحبُّكِ يا بيروتُ المجنونَهْ . .
يا نهرَ دماء وجواهرْ
مازلتُ أُحبُّكِ يا بيروتُ القلبِ الطّيبِ . .
يا بيروتُ الفَوْضَى . .
يا بيروتُ الجوع الكافرِ . . والشَبَعِ الكافرْ . .
مازلتُ أُحبُّكِ يا بيروتُ العدلِ . .
ويا بيروتُ الظلمِ . .
ويا بريوتُ السَبْيِ . .
ويا بيروتُ القاتلِ والشاعرْ . .
مازلتُ أُحبُّكِ يا بيروتُ العِشْقِ . .
ويا بيروتُ الذبحِ من الشرْيانِ إلى الشرْيانْ . .
مازلتُ أُحبُّكِ رغمَ حماقات الإنسانْ
مازلتُ أُحبُّكِ يا بيروتُ . .
لماذا لا نتبديءُ الآنْ؟؟

من ديوان «الأعمال السياسية الكاملة» ١٩٩٣

يا ست الدنيا يا بيروت

كلمات: نزار قباني

ألحان: كاظم الساهر

غناء: ماجدة الرومي

يا بيروت يا ست الدنيا يا بيروت
نعترف أمام الله الواحد نعترف
أنا كنا منك نغار
وكان جمالك يؤذينا
نعترف الآن بأنا لم ننصفك
ولم نرحمك
بأنّا لم نفهمك. . ولم نعذرك
وأهديناك مكان الوردة سكينا
نعترف أمام الله العادل
نعترف
بأنا جرّحناك وأنّا أتعبناك
وأنّا أحرقناك وأبكيناك
وحملناك أيا بيروت معاصينا

* * *

يا بيروت إن الدنيا ليست بعدك تكفينا
الآن عرفنا أن جذورك ضاربة فينا
الآن عرفنا ماذا اقترفت أيدينا
قومي من تحت الردم
كزهرة روض في نيسان
قومي من حزنك قومي
إن الثورة تولد من رحم الأحزان
قومي من تحت الردم
قومي إكراماً للأعناب
قومي إكراماً للأصحاب
قومي إكراماً للأطفال
وللأديان وللإنسان.

* * *

طوق الياسمين

شكْراً . لطوق الياسمينْ
وضحكتِ لي . . وظننتُ أنكِ تعرفينْ
معنى سِوار الياسمينْ
يأتي به رجلٌ إليكِ . .
ظننتُ أنكِ تدركين

*

وجلستِ في ركنٍ ركينْ
تتسرَّحينْ
وتنقِّطين العطرَ من قارورةٍ وتدمدمينْ
لحناً فرنسيَّ الرنينْ
لحناً كأيَّامي حزينْ
قَدَماكِ في الخُفِّ المقصَّبِ
جدولانِ من الحنينْ
وقصدتِ دولابَ الملابسَ
تقلعينَ . . وترتدينْ
وطلبتِ أن أختار ماذا تلبسينْ أفَلي إذنْ؟
أفَلي أنا إذًا تتجمَّلينْ؟

ووقفتُ . . في دوّامة الألوان ملتهبَ الجبينْ
الأسودُ المكشوفُ من كتفيهِ
هل تتردَّدينْ؟
لكنه لونٌ حزينْ
لونُ كأيامي حزينْ
ولبستِهِ
وربطتِ طوقَ الياسمينْ
وظننتُ أنكِ تعرفينْ
معنى سوار الياسمينْ
يأتي به رجلٌ إليك . .
ظننتُ أنك تدركينْ . .

*

هذا المساءْ . .
بحانة صغرى رأيتُكِ ترقصينْ
تتكسَّرينَ على زنود المعجبينْ
تتكسَّرينْ . .
وتدمدمينْ . .
في أذْن فارسكِ الأمينْ
لحناً فرنسيَّ الرنينْ
لحناً كأيامي حزينْ

*

وبدأتُ أكتشفُ اليقينْ
وعرفتُ أنكِ للسوي تتجمَّلينْ
ولهُ ترشّينَ العطورَ . .
وتقلعينَ . .
وترتدينْ . .
ولمحتُ طوقَ الياسمينْ
في الأرضِ . . مكتومَ الأنينْ
كالجثة البيضاء .
تدفعُهُ جموعُ الراقصينْ
ويهم فارسُكِ الجميلُ بأخذه . .
فتمانعين . .
وتقهقينْ . .
«لا شيء يستدعي انحناءكَ . .
ذاكَ طوقُ الياسمينْ . . »

من ديوان «قصائد» ١٩٥٦

طوق الياسمين

كلمات: نزار قباني

ألحان: كاظم الساهر

غناء: ماجدة الرومي

شكراً لطوق الياسمين
وضحكت ساخرة له
وظننت أنك تعرفين
معنى سوار الياسمين
يأتي به رجل إليكِ
وظننت أنك تدركين
شكراً

* * *

وجلست في ركنٍ ركين
تتسرحين
وتنقطين
العطر من قارورة وتدمدمين
لحناً فرنسي الرنين
لحناً كأيامي حزين
قدماك في الخف المقصّب
جدولان من الحنين

وطلبت أن اختار ماذا تلبسين
شكراً

* * *

أله إذاً تتجملين
بالأسود المكشوف عن كتفيه
هل تترددين؟
لكنه لون حزين
لون كأيامي حزين
ولبسته
وظننت أنك تعرفين
معنى سوار الياسمين
يأتي به رجل إليك
وظننت أنك تدركين
شكراً

* * *

هذا المساء في حانة صغرى
رأيتك ترقصين
تتكسرين على زنود المعجبين
وتدمدمين في أذن فارسك الأمين
لحناً فرنسي الرنين

لحناً كأيامي حزين
فبدأت أكتشف اليقين
وعرفت أنك للسوي تتجملين
وله ترشين العطور وترقصين
ولمحت طوق الياسمين
في الأرض مكتوم الانين
كالجثة البيضاء تدفعها
جموع الراقصين
ويهم فارسك الجميل بأخذه
فتمانعين
وتقهقهين
لا شيء يستدعي انحناءك
شكراً
فذاك طوق الياسمين.

اغضب..
فأنت رائع حقاً متى تثور

بعد أن رفضت أم كلثوم غناء قصيدة «إغضب» كما روينا قبل ذلك نامت القصيدة في أحضان دواوين نـزار قباني ومرت سنوات طويلة حتى جاءت حقبة التسعينيات ووقعت أصالة على هذه التحفة النادرة لنزار قباني في ديوانه «الرسم بالكلمات» وقالت لنزار أنها تحب هذه القصيدة وتتمنى غنائها ولم يتردد الشاعر الكبير فهو يعرف صوت أصالة وخامته جيداً، لكنه قال له على شرط أن أرشح لك الملحن الذي يلحنها.. ووافقت أصالة وتنازل نزار عن القصيدة لشركة «صوت الفن» التي كانت تتعاون معها أصالة وكتب شريطة أن يلحن حلمي بكر القصيدة.. ويتذكر حلمي بكر هذا الموقف فيقول: «رغم عظمته كشاعر.. كان نزار قباني شديد الرقة والتواضع، وعندما اتصل بي كنت أعرف عنه من الموسيقار محمد الموجي أنه يحب سماع اللحن من الملحن أولاً بأول، وكنت مستعداً لذلك، لكني وجدته متحرجاً من أن يقولها لي، وأخذ يبحث عن المدخل لذلك، إلى أن قال في أدب شديد: ياريت تبقى تونسني معاك باللحن، بعدما تنتهي منه.

ابتسمت وقلت: أنت أستاذ كبير وحتما كنت سأفعل هذا معك.

ووجدت في بداية القصيدة شطرتان: إغضب كما تشاءُ، واجرح أحاسيسي كما تشاءُ، ولأن كلمة تشاء جاءت لتنتهي المعنى في جملة مفيدة بعد كل شطرة، فمن التقليدي أن تسكن وتصبح «تشاءْ» بتسكين الهمزة، وحسب المألوف لحنتها هكذا ساكنة غير متحركة، لكن فوجئت بنزار يطلب مني تحريكها بالضمة لتصبح «تشاءُ» بتحريك الهمزة، وقبل أن أرد عليه قال لي: أنا معجب بما لحنته، وهو صحيح، لكني قصدتها «تشاءُ» وإذا قرأت نهاية المقطع الذي يقول: «فأنت كالأطفال يا حبيبي، نحبهم مهما لنا أساءوا» ستجد أن القافية متحركة وليست ساكنة، وبالفعل أعجبتني وجهة نظر نزار وثقته في إحساسه ولحنتها كما أراد.

وشدت أصالة بالقصيدة.. ولا أعرف لماذا لم تكرر هذه التجربة العبقرية فللقصيدة صدى باق لمحب الأصالة منذ الاستماع إليها أول مرة وحتى الآن.. بل تصيب الأغنية / القصيدة كل من يستمع إليها بحالة من الصدق في الأحاسيس والتوهج نادراً ما تتكرر في أغنية أخرى خاصة أن أصالة تمتلك صوتاً قوياً ومعبراً

وحساساً ويستطيع أن يتميز عن أي صوت من أبناء جيلها.

ولكن بعد تحقيق الأغنية نجاحاً غير عادياً بعث شخص يدعى أحمد محمود حسين عيسى إنذاراً إلى شركة «صوت الفن» بأن هذه الأغنية من كلماته وأن نزار قباني سرقها منه، وكتب مجدي العمرس إلى نزار في الأمر فأرسل نزار من لندن رسالة قال فيها:

«أخي العزيز الأستاذ مجدي العمروسي:

أبعث إليك بأطيب مشاعري راجياً لك دوام السعادة والنجاح.. لا أود أن أقحم نفسي في هذه الكذبة الكبيرة والسخيفة التي ابتدعها خيال المدعو أحمد محمود حسين عيسى، فما يقوله ليس سوى تخريف وشعور بالنقص.. يعانيه كل فاشل في الحياة، أو في الأدب أو في الشعر.. إن الانذار ليس سوى عملية نصب وابتزاز لشركة «صوت الفن».. يقصد بها صاحبها تسليط الأضواء على شخصه الهامشي، وما أكثر الحالات المماثلة التي يحاول فيها الهامشيون أن يتسلقوا أكتاف الآخرين، طمعاً في شيء من المجد أو بضعة ملاليم ولمعلوماتك يا أخي مجدي، فإن قصيدة «إغضب» منشورة في ديوان «الرسم بالكلمات» الصادر في بيروت عام ١٩٦٦ وموجودة في الجزء الأول من «الأعمال الشعرية الكاملة» على صفحات ٥٢٠ و ٥٢١ و ٥٢٢ «منشورات نزار قباني».. أي أن القصيدة نشرت قبل خمسة عشر عاماً من نشر ديوان المدعو أحمد محمود حسين عيسى.. الذي كان في عام ١٩٦٦ في عالم الغيب، فكيف أنقل قصيدتي عن نطفة.. أو عن كائن لم تتشكل ملامحه الجسدية والعقلية بعد؟ «يقول في إنذاره أنه مؤلف شاب عجز عن معرفة طريق الشهرة» لا أريد أن تأخذ القضية بعداً أكبر من الحجم الذي تستحقه، لأن الرجل على ما يبدو غاوي فضائح.. ومن يدري.. ربما كان مدسوساً عليكم نم قبل مزاحمي «صوت الفن» أو مزاحمي المغنية الصاعدة.. هذا كل ما عندي، وأترك لك أن تتصرف بكل حزم، كما يعرف عنك، لأن أهل مكة أدرى بشعابها.

ولك من أخيك كل المحبة والتقدير

نزار قباني

اغضـــب

اغضب كما تشاء . .
واجرح أحاسيسي كما تشاء
حطم أواني الزهر . . والمرايا
هدد بحب امرأة سوايا
فكل ما تفعله سواء
وكل ما تقوله سواء
فأنت كالأطفال يا حبيبي
نحبهم . . مهما لنا أساءوا
إغضب!
فأنت رائع حقاً متى تثور
إغضب!
فلولا الموج ما تكونت بحور
كن عاصفاً كن مطراً
فإن قلبي دائماً صبور
إغضب!
فلن أجيب بالتحدي
فأنت طفل عابث

يملؤه الغرور

وكيف من صغارها تنتقم الطيور؟

* * *

إذهب . .

إذا يوماً مللت مني . .

وإتهم الأقدار وإتهمني . .

أما أنا فإني . .

سأكتفي بدمعتي وحزني . .

فالصمت كبرياء . .

والحزن كبرياء . .

إذهب . .

إذا أتعبك البقاء . .

فالأرض فيها العطر والنساء . .

وعندما تريد أن تراني . .

وعندما تحتاج كالطفل إلى حناني . .

فعد إلى قلبي متى تشاء

فأنت في حياتي الهواء

وأنت . . عندي الأرض والسماء

* * *

إغضب كما تشاء
وإذهب.. متى تشاء
لابد أن تعود ذات يوم
وقد عرفت ما هو الوفاء

إغضب

كلمات: نزار قباني

ألحان: حلمي بكر

غناء: أصالة

إغضب كما تشاء
واجرح أحاسيسي كما تشاءُ
حطم أواني الزهر والمرايا
هدد بحب امرأة سوايا
فكل ما تفعله سواءُ
وكل ما تقوله سواءُ
فأنت كالأطفال يا حبيبي
نحبهم مهما لنا أساءوا

* * *

إغضب فأنت رائع حقاً متى تثور
إغضب فلولا الموج ما تكونت بحور
كن عاصفاً.. كن ممطراً
فإن قلبي دائماً غفور
إغضب فلن أجيب بالتحدي
لن أجيب
فأنت طفل عابث

يملؤه الغرور
وكيف من صغارها تنتقم الطيور
إذهب إذا يوماً مللت مني
واتهم الاقدار
واتهمني
أما أنا فإني
سأكتفي بدمعتي وحزني
فالصمت كبرياء
والحزن كبرياء
إذهب إذا أتعبك البقاء
فالأرض فيها العطر والنساء
والأعين الخضراء والسوداء
وعندما تريد أن تراني
وعندما تحتاج كالطفل إلى حناني
فعد إلى قلبي متى تشاءُ
فأنت في حياتي الهواءُ
وأنت عندي الأرض والسماءُ
إغضب كما تشاءُ
واذهب متى تشاءُ
لابد وأن تعود ذات يوم
وقد عرفت ما هو الوفاءُ

بين نزار وشادية.. والسنباطي

لأنهـا امـرأة تنتـمي إلى زمـن الغناء الجـمـيل.. إلى ذلك العـصـر المعـجـون بالرقـة والإنسـانية والصـدق والاحاسـيس العـالي وجـدت نفسـها وجهـا لوجـه أمام كلمـات نـزار قبـاني.

كانت شادية امـرأة من طراز خـاص ونموذج لا يتكرر.. وحين كنت أعد كتاباً عنهـا نشر ملحقاً مع مجلة نصف الدنيا عام ٢٠٠٣ بالقاهرة عثرت على قصاصة نادرة من مجلة الجيل الصـادرة في ٣٠ نوفمبر ١٩٥٩ وبهـا مقـالة للكاتب الساخـر أحمـد رجب يقـول فيـهـا: «رأينـا عبـد الوهاب وهو يخلق النغم ويضع الجـمال! رأيته يغـوص في مقـعده وسط الاصـدقـاء في البيت وينـطلق ليـترنم - وحـده - بنغمـات وخـافتـه وبين يديه تتحول الكلمات فيها - عند شفتيه - إلى شيء جميل مثير.. ساحر.. خلاب.

وقال له الكاتب الفنان كامل الشناوي: ارفع صوتك يا رجل!

لكن عبد الوهاب ضنين بفنه، ضنين بصوته، ضنين بالجمال!

قال لكامل الشناوي: أنا الذي أريد أن اسمع صوتك وأنت تلقي هذه القصيدة.

وألقى كـامل الشناوي نظـرة صامتـة على القصـيـدة.. ثم قـال لعـبـد الوهـاب: أنا لا أتصـور أن نـزار قـبـاني هـو الذي نظم هذه القـصـيـدة، بل إن شـادية الـتي نظمـتـهـا! إن كلمات هذه القصيدة خلقت لكي تغنيها شادية! إنني أسمع صوتها الأنثوي المثير وهو يتردد على هذه الورقة!

قال عبد الوهاب: والله فكرة!

إنهـا نفس الفكرة الـتي كـانت تدور في رأسي! سـوف ألحنهـا لشـادية إن القـصـيـدة التي نظمـها شـاعر المرأة الرقـيق نـزار قـبـاني هي أول قـصـيـدة وأول لحن تغنيه شـادية طوال حياتها الفنية لعبد الوهاب!

إن كلمـات القـصـيـدة تجـري على لسـان بنت بلغت الخـامـسـة عـشـرة من عـمـرهـا تخاطب الرجل الذي أحبته وهي طفلة بعد أن نضجت أنوثتها وأصبحت مشتهاة..

تقول كلمات القصيدة التي سوف تغنيها شادية:

صار عمري خمس عشرة

صرت أحلى ألف مرة
صرت أكبر..
صار حبي لك أكبر
ألف مرة
ربما من سنتين
لم تكن ترنو إلى وجهي المدور
كان حسني بين بين...
كنت أتيك بثوبي المدرسي
وشريطي القرمزي
كان يكفيني بأن تهدي إلي
دمية.. قطعة سكر
لم أكن أطلب أكثر
وتطور
بعد هذا كل شيء
لم أعد أقنع في قطعة سكر
ودمى تطرحها بين يدي
صارت اللعبة أخطر
صرت أنت اللعبة الكبرى
صرت أحلى لعبة بين يدي

* * *

كل شيء صار أخضر
شفتي خوخ وياقوت مكسر. . .
صرت أكبر. .
طفلة الأمس التي كانت على بابك تلعب
والتي كانت في حضنك تغفو
حين تتعب
أصبحت قطعة جوهر لا تقدر
أصبحت أروع مما تتصور
صار عمري خمس عشرة
صرت أحلى ألف مرة. .

ولكن شـادية لم تـغن هذه القـصـيـدة.. وجـاءت بعـدهـا قـصـيـدة «القـدس» وكـانت شادية قد سافرت إلى بيروت عام ١٩٦٨ للقيام ببطولة فيلم «خياط السيدات» أمام دريد لحام ومن إخراج عاطف سالم ولكنها لم تصل في الموعد المحدد لأنها حسب قولها «سأقوم بعمل فني له شأن كبير في هذه المرحلة من حياتي بالنسبة لواجبي الوطني حيث سأسجل قصيدة إنسانية وطنية كان نزار قباني قد نظمها بعد عدوان الخامس من يونيو وهي تتحدث عن القدس في صورها بلأمس واليوم والغد..

يا قدس يا منارة الشرائع
يا طفلة جميلة محروقة الاصابع
حزينة عيناك يا مدينة البتول
يا واحة ظليلة مر بها الرسول
حزينة حجارة الشوارع
حزينة مآذن الجوامع

من يقرع الاجراس في كنيسة القيامة
من ينقذ الانجيل
من ينقذ القرآن
من ينقذ الإنسان
يا قدس يا مدينتي
يا قدس يا حبيبتي
غداً سيزهر الليمون
وتضحك العيون
وترجع الحمائم المهاجرة
إلى السقوف الطاهرة
ونلتقي على رباك الزاهرة
يا بلدي . . يا بلد السلام والزيتون

لحن رياض السنباطي القصيدة حيث كان يحب أن يقدم عملاً فنياً لنزار قباني يكون له صداه البعيد ويقول السنباطي أنه وجد في قصيدة القدس صوراً إنسانية متعددة فصاغها نغمات جديدة بأسلوب يتفق وصوت شادية.. وكان السنباطي قد لحن القصيدة دون أن يعلم نزار بذلك، ولكنه حيث عرف أعجب نزار وعلق قائلاً للصحف وقتها أن السنباطي ملحن عريق ولاسيما لمساته في الشعر العربي الذي غنته أم كلثوم، فهو يستطيع أن يتفهم الشعر الراقي، واختص بتلحينه، ولاسيما شعر شوقي ورامي وناجي والاعمال الماضية له تجعلني أعتقد أن هذه القصيدة ستخرج من بين يديه بإطار فني عميق وأصيل..

ولم تغني شادية القصيدة.. لماذا؟

السبب عبد الحليم حافظ.. والقصة في الصفحات القادمة.

من يحمل الألعاب للأولاد
في ليلة الميلاد ؟!

يؤثرني مجدي نجيب بشاعريته.. بحسه المرهف.. بكلماته التي تخترق الوجدان.. وقد اكتشفت في مجدي نجيب خلاف الشاعر الكبير كاتب نثري من طراز فريد وذلك من خلال كتاب «من صندوق الموسيقى.. زمن الغناء الجميل» الصادر عن مكتبة الأسرة إذ يروي القصة بطريقة مختلفة تحت عنوان: «في لقاء السنباطي.. ونزار: لم يجد أحدهما الشخص الذي يحمل الألعاب للأولاد في ليلة الميلاد»؟!

«في صباحية يوم ضبابي كان على إصراره يحاول عناق الايام القادمة من ليالي الشتاء متسلل في حزن، مغلف بوجع الهزيمة.. وضياع شبابنا في لهب وسخونة رمال أرضنا المحتلة.. وبكاء الكبار والصغار في فلسطين التي أصبحت في غمضة عين لا يملكها أصحابها؟ والأمة العربية تجتر رصيدها الباهت كالاشباح الرمادية على طاولات الاجتماعات، مع إعلانهم الدائم، القائم المستديم، والذي لايزال مستمراً، معتمداً على لغة «الشجب» التي تعودناها وأصبحت مثل المسكنات لآلامنا مع غذائنا اليومي هذه اللغة التي تشبه نسائنا العربيات عندما ينشرن غسيلهن من الملابس التي تشبه وجوههن على الحبال لكي تجففه الشمس ويصبح أكثر بياضا، حسب الاعلانات الموجه!

ولكنه لا يجف..

وتظل الأوساخ عالقة به، لأن أغلب أحلامنا كانت أكثر وأكثر اتساخاً وقذارة بعد غسلها بكل مساحيق النظافة الاستهلاكية وكريمات التجميل.

وكذلك أصبحت أخلاقنا.. وعلاقاتنا الأسرية وأصدقائنا وصداقاتنا، ولم يتبق لنا سوى اللهو والعبث مع المجهول.. والرقص على حبال الوهم. والابتعاد عن الواقع الذي يذكرنا بالخيبة ومرارة وجودنا الذي أصبح لا معنى له.. وأصبح من الاشكال الافتراضية!!

كان الشاعر الصحفي صالح جودت قد تزعم ضمن غيره من الكُتَّاب في مصر والوطن العربي حملة ضد نزار قباني وأشعاره التي كانت نارية، ملتهبة، تصرخ باستنهاض الهمة العربية.. والنخوة الإسلامية بعد الهزيمة التي أطلقوا عليها اللفظ

الذي يشبـه «المكنسـة» أي «نكسـة».. وأصبـح نزار قبـاني كـالفـرس الجـامح الذي قطع لجام خضوعه للوضع الموجع، وتخلى عن رومانسيته في مواجهة واقعنا العربي بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ .

قـابلت نزار قـبـاني بعد النكسـة عندمـا جاء فـي زيارة خـاطفـة للقـاهـرة. كـانت هي المرة الأولى التي أراه فيها، وكان اللقاء في الثامنة صباحاً في حديقة «جـروبي» في وسط البلد في وجـود الموسـيـقـار الكبـيـر رياض السنبـاطي الذي كـان قـد لحن من أشـعـاره أغنيـة «القـدس» لكي تقـوم بغنائهـا الفنانة شـادية حيث استـهوتهـا معـاني القصيدة،وأبكاها يومها الشطر الذي يقول فيه نزار :«من يحمل الالعاب للأولاد في ليلة الميلاد»!

بكت يومهـا مثلمـا يبكي الأطفـال الذين فقـدوا الحلم وفقـدوا ذاكـرة الألوان، فـهي امرأة فنانة.. معجونة بحب الأطفال وعالية الاحساس بمفهوم الوطن.

كان نزار غـاضبـاً، يذيب غضبه في فنجان قهوته فلا يجد طعم حبة السكر التي تذكره بوجه امرأة.. بينما استمر - مرغماً - في احتساء قهوة الصباح.

كانت السـمـاء فـي عينيـه «رمـادية» لا تضـحك كمـا كان قـد صـورها في أشـعـاره «وردية» مثل خدود النسـاء الصغيرات..

وكـانت رؤياه لما حـولـه، مـجـرد رؤية يراها من خـلال عيـوب مـحـارب مـا يدافع عن حلمه العربي الذي وقع مغشياً عليه تحت جنازير الدبابات وتحت الشعارات المنتشية برنين الكلمات الجوفاء، والتي كانت للأسف أكثر صلصلة وجلجلة من صوت القنابل والانفجارات ودموع الثكالى الكثيرة التي لم تستطع هذه الدموع إعطاء الحياة لأي نبتة فرح.. لأن الأرض كانت قد ضاعت؟!

كانت أيضـاً هي المرة الأولى لنزار التي يقابل فيها الموسـيـقـار رياض السنبـاطي صاحب الأسلوب السهل الممتنع والغواص القدير على السباحة في دهاليز المقامات الموسيقيـة العـربية، وقدرته على تطويع الكلمات والباسها أثواب جديدة من الشجن المبتكر، الشجن القادر على إسعاد المستمعين.

.. ولذلك:

كان السنباطي في ذلك الصباح الرمادي مدهوشاً بما يسمعه من قاذفات القنابل التي تتفجر قاسية.. وكانت كلماته القنابل مزودة أيضاً بالديناميت الذي يحاول نسف السياسة والسياسيين، والشعراء المتخاذلين الذين اختاروا الاحتماء خلف رداء الحكام.. وخلف أوهام الانظمة!

ولأن السنباطي كان من الفنانين الذين اختاروا الفن قبل أي شطحات غرامية مع الوسط الفني أو جنسيته مع من يعملون فيه فقد كان دائم السير على الصراط المستقيم عن يقين، متجهاً إلى «بوصلة» موسيقاه وألحانه فقط، لا يشغله غيرها..

حتى «قلبه»

كان قد أخفاه في جيبه منذ دخل الوسط الغنائي، وأعطاه إجازة مفتوحة لكي لا يصاب بأي شرح قد يوجعه ويجرحه، فيتعطل في مسريته ابداعه، فالسنباطي كان أكثر الموسيقيين الذين قذفوا بمشاعرهم خلفهم للتفرغ لحلمه...

لذا كان رياض السنباطي الفنان مندهشاً من ثورة الشاعر نزار قباني لأنه لم يتعامل من قبل مع شبيه له.. يومها أطلق نزار قذائفه التي حاول بها أن يغسل قبلاته الشعرية الرومانسية على مجتمع نسائه...

ودار حوار طويل بين الشاعرين مجدي نجيب ونزار قباني في جروبي حول الشعر والحرية والثوة والنساء.. وبعد أن امتد الحديث بينهما وطال أوحى نجيب إلى السنباطي لكي يسكن ثورة نزار إزاء نكسة يونيو / حزيران أن يتحدث عن اللحن الجديد بين شادية ونزار والسنباطي الذين يلتقون للمرة الأولى معاً.. والغريب - حسب قول مجدي نجيب - أن السنباطي كان يشبه صوت شادية بتغريد الهدهد الذي تهدده العوامل العربية والأنظمة التي تبحث عن أمانها.

«كانت قصيدة «القدس» سيتم تسجيلها في بيروت بعد قيام الرحبانية بعمل التوزيع الموسيقي لها، ولكن عبد الحليم حافظ أراد غناء القصيدة، وأثار ضجة يومها معلناً أنه صاحب الحق فيها لأن نزار كان قد أعطاه الوعد بغنائها، فتوقفت

الإذاعة عن تسجيل الأغنية لعدم اغضاب شادية أو عبد الحليم، والحقيقة أن شادية احترمت رغبة العندليب وأخبرت السنباطي أن يبحث مع نزار عن قصيدة أخرى، وقدر عبد الحليم لشادية هذا الموقف وقال أنه لن يغني الأغنية إلا شادية، وكما تضيع أحلامنا العربية ضاعت القصيدة»..

كاظم الساهر ولطيفة

يحققـــان حـــلم السنـــباطي

كغيرها من المطربين والمطربات الجيدين كانت تبحث عن أغنية للقلب والعقل معاً.. عن كلمات تعبر حنجرة صوتها لتكشف الوجع العربي والخزي الذي نعيش فيه إزاء هؤلاء الأطفال المنفيين عن أوطانهم.. هؤلاء الفلسطينيين الذين طردوهم من أوطانهم وحولوهم إلى لاجئين، وكان كاظم قد غنى ولحن العديد من قصائد نزار فاستقر ولطيفة على غناء قصيدة «القدس».. وطلب كاظم ولطيفة من نزار أن يضيف مقطعاً إلى القصيدة لأن الاطفال اليتامى المشردين صاروا أكثر في وطننا العربي وكان نزار متعباً هده المرض في لندن لكنه أضاف إلى القصيدة:

يا قدس إن الموت بيننا موزع
كل أطفال العرب يرمون في مقبرة واحدة
بعضهم يدفن في الجنوب من لبنان
وبعضهم يرقد تحت هضبة الجولان
وبعضهم تأكله الاسماك في دجلة والفرات.

ونجحت القصيدة / الأغنية التي قدمت على شكل دويتو بين كاظم ولطيفة.. وكانت لطيفة قد التقت بنزار للمرة الأولى عام ١٩٨٨ بالقاهرة وغنت أمامه في جلسة ضمت عدداً كبيراً من أصدقاء الطرفين.. وأبدى إعجابه بصوتها.

وقد قالت لطيفة عن نزار: «كنت أحبه شاعراً، لكن بعدما عرفته أصبحت أحبه شاعراً وإنساناً عظيماً في إنسانيته، وفي انتمائه لوطنه العربي الذي عاش موجوعاً بقضاياه وأحزانه.. لقد عرفت ذلك فيه عن قرب.. عندما طلبت منه أنا وكاظم أن نغني قصيدته «من ينقذ الإنسان» على مسرح «ألبرت هول» حيث كنا تلقينا دعوة لإحياء حفلة كبيرة هناك.. وكنا قد أخذنا جزءاً من القصيدة، وعندما وجدنا أن باقي القصيدة لا يحاكي الوضع العربي حالياً.. ورغم أنه كان على فراش المرض، ويعاني من شدة التعب والألم.. إلا أن إحساسه بهموم الوطن كان حاضرا»..

وكان نزار يتمنى الاستماع إلى باقي قصائده بصوت لطيفة التي لحنها لها كاظم الساهر - حيث رحل الشاعر ولطيفة وكاظم يعدان هذه القصائد وهي «أعنف حب عشته» التي غيرت اسمها إلى «تلومني الدنيا» ثم «العاشقين» وغيرهم.

أعنفُ حُبٍّ عشتُهُ

تلومُني الدنيا إذا أحببْتُهُ
كأنَّني . . أنا خلقتُ الحُبَّ واخترعْتُهُ
كأنَّني أنا على خُدُود الورد قد رَسَمْتُهُ
كأنَّني أنا التي . .
للطير في السماء قد علَّمْتُهُ
وفي حُقُول القَمْح قَدْ زرعتُهُ
وفي مِيَاه البَحْر قَدْ ذوَّبْتُهُ . .
كأنَّني . . أنا التي
كالقَمَرِ الجميلِ في السماء . .
قد علَّقْتُهُ .
هذا الهوى . أعنفُ حبٍّ عشتُهُ
فليتني حينَ أتاني فاتحاً
يديهِ لي . . رددتُهُ
وليتني من قبل أن يقتُلَني . . قَتَلتُهُ . .

*

هذا الهوى الذي أراهُ في الليلِ . .
على ستائري . .
أراهُ . . في ثوبي . .

وفي عطري . . وفي أساوري
أراهُ . . مرسوماً على وجه يدي . .
أراهُ . . منقوشاً على مشاعري
لو أخبروني أنَّهُ . .
طفلٌ كثيرُ اللهوِ والضوضاءِ ما أدخلتُهُ
وأنَّهُ سيكسرُ الزجاجَ في قلبي ما تركتُهُ
لو أخبروني أنَّهُ . .
سَيُضرم النيرانَ في دقائقٍ
ويقلبُ الأشياءَ في دقائقٍ
ويصبغ الجدرانَ بالأحمر والأزرقِ في دقائقٍ
لكنتُ قد طردتُهُ . .

*

يا أيُّها الغالي الذي . .
أرضَيْتُ عني اللَّهَ . . إذا أحببتُهُ
هذا الهوى أجملُ حُبٍّ عشتُهُ
أروعُ حُبٍّ عشتُهُ
فليتني حينَ أتاني زائراً
بالوردِ قد طوَّقتُهُ . .
وليتني حينَ أتاني باكياً
فتحتُ أبوابي لهُ . . وبستُّهُ
وبسته . . وبسته . .

تلومني الدنيا

كلمات: نزار قباني

ألحان: كاظم الساهر

غناء: لطيفة

تلومني الدنيا إذا أحببته
كأني أنا خلقت الحب واخترعته
تلومني الدنيا

* * *

هذا الهوى الذي أتى من حيث ما
انتظرته . .
مختلف عن كل ما عرفته
مختلف عن كل ما قرأته
وكل ما سمعته
لو كنت أدري أنه باب كثير الربح
ما فتحته
لو كنت أدري أنه عود من الكبريت
ما أشعلته
هذا الهوى أعنف حب
عشته

فليتني حين أتاني فاتحاً يديه لي

رددته

وليتني من قبل أن يقتلني قتلته

يا أيها الغالي الذي أرضيت عني

الله إذا أحببته

هذا الهوى أجمل حب عشته

فليتني حين أتاني زائراً بالورد

قد طوقته.

* * *

القـدس

بكيت حتى إنتهت الدموع
صليت حتى ذابت الشموع
ركعت حتى ملني الركوع
سألت عن محمد فيك وعن يسوع
يا قدس. . يا مدينة تفوح أنبياء
يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء
يا قدس. . يا منارة الشرائع
يا طفلة جميلة محروقة الأصابع
حزينة عيناك يا مدينة البتول
يا واحة ظليلة مر بها الرسول
حزينة حجارة الشوارع
حزينة مآذن الجوامع
يا قدس. . يا مدينة تلتف بالسواد. .
من يقرع الأجراس في كنيسة القيامة؟
صبيحة الآحاد. .
من يحمل الألعاب للأولاد؟
في ليلة الميلاد. .
يا قدس يا مدينة الأحزان

يا دمعة كبيرة تجول في الأجفان
من يوقف العدوان؟
عليك يا لؤلؤة الأديان
من يغسل الدماء عن حجارة الجدران؟
من ينقذ الإنجيل؟. . من ينقذ القرآن؟
من ينقذ المسيح ممن قتلوا المسيح؟
من ينقذ الإنسان؟
يا قدس يا مدينتي
يا قدس يا حبيبتي
غداً غداً سيزهر الليمون
وتفرح السنابل الخضراء، والنصون
وتضحك العيون
وترجع الحمائم المهاجرة
إلى السقوف الطاهرة
ويرجع الأطفال يلعبون
ويلتقي الآباء والبنون
على رباكي الزاهرة
يا بلدي. . يا بلد السلام والزيتون. .

من ينقذ الإنسان ؟

كلمات: نزار قباني

ألحان: كاظم الساهر

غناء: لطيفة وكاظم الساهر

بكيت حتى انتهت الدموع
. . . حتى ذابت الشموع
يا قدس يا مدينة الأحزان
من ينقذ الإنسان
من يوقف العدوان
يا قدس إن الموت بيننا موزع
كل أطفال العرب
يرمون في مقبرة واحدة
بعضهم يدفن في الجنوب من لبنان
وبعضهم يرقد تحت هضبة الجولان
وبعضهم تأكله الاسماك في
دجلة والفرات
وبعضهم محاصر في ليبيا
بالجوع والأحزان
من ينقذ الإنسان . . من ينقذ الإنسان؟

عندما نعشق ماذا يعترينا

كلمات: نزار قباني

ألحان: كاظم الساهر

غناء: لطيفة

يا إلهي
يا إلهي
عندما نعشق ماذا يعترينا
ما الذي يحدث فينا
ما الذي يكسر فينا
عندما يضربنا الحب
على غير انتظار
ما الذي يذهب منا
ما الذي يولد فينا
كيف نغدو كالتلاميذ الصغار
أبرياءً ساذجينا
يا إلهي
يا إلهي
ما يسمى ذلك الحب الذي
ظل قروناً وقرونا
يقتل القتلى
ويحتل الحصونا

ويذل الاقوياء القادرينا
ويذيب البسطاء الطيبينا
كيف نمشي وسط النار
ونرتد بألوان لها
كيف نغدو عندما نعشق أسرى
بعدما كنا ملوكاً فاتحينا
يا إلهي
يا إلهي
كيف نستسلم للحب ونعطيه مفاتيح
الأمان
وإليه نحمل الشمع وعطر الزعفران؟
كيف ننهار
على أقدامه مستغفرينا؟
كيف نسعى لحماه قابلين كل ما
يفعل فينا
يا إلهي
يا إلهي
عندما نعشق ماذا يعترينا؟
ما الذي يحدث فينا؟
ما الذي يُكسر فينا؟!!

علمني حبك أن أتصرف كالصبيان

حقق كاظم الساهر نجاحاً لا مثيل له من خلال التقاء حنجرته مع كلمات نزار قباني، وكانت أولى القصائد التي تغنى بها كاظم وصدرت في ألبوم هي «اختاري»، ثم توالت بعد ذلك القصائد التي راح الجمهور يرددها ويعشقها ويترنم بها.. وقد قدم كاظم هذه القصائد كلها من ألحانه بعد أن استأذن نزار قباني الذي كان يلقب كاظم بـ «عصفور الجميل..» وشجع كاظم كثيراً على أن يغني قصائده مما زاد من نجومية كاظم الساهر وتفوقه على كثير من المطربين وتحقيقه مكانة لا بأس بها لكن هذه المكانة بدأت تتضاءل الآن بسبب تشابه اللحان التي يقدمها كاظم للقصائد التي يختارها من دواوين نزار قباني.. كما لحن عدة قصائد لم يغنها للطيفة وماجدة الرومي وغادة رجب.. وكان نزار ينتظر أن يستمع إلى الدويتو الذي قدمه كاظم ولطيفة عن القدس لكنه رحل أثناء البروفات مما دعا بكاظم ولطيفة إلا أن يسافرا إلى سوريا لعزاء أسرة الشاعر الراحل الذي كان يقول لكاظم «خذ من شعري وكلماتي أجملها يا كاظم».

* * *

اختـــاري

إنّي خيَّرتُكِ . . فاختاري
ما بين الموتِ على صدري
أو فوقَ دفاتر أشعاري
إختار الحبَّ . . أو اللاحبَّ
فجبنٌ أن لا تختاري . .
لا توجدُ منْطقةٌ وسطى
ما بينَ الجنَّةِ والنارِ . .

*

إرمي أوراقك كاملةً . .
وسأرضى عن أيِّ قرارِ
قُولي . . إنْفَعِلي . . إنْفَجِري
لا تقفي مثلَ المِسْمارِ
لا يمكنُ أن أبقى أبداً
كالقشَّة تحت الأمطارِ . .
إختاري قَدَراً بين اثنينِ
وما أعنَفَها أقداري . .
مُرهفةٌ أنتِ . . وخائفةٌ
وطويلٌ جداً . . مشواري
غوصي في البحر . . أو ابتعدي

لا بحرٌ.. من غير دُوَارِ..
الحبُّ.. مواجهةٌ كبرى
إبحارٌ ضدَّ التَّيارِ..
صَلْبٌ، وعَذَابٌ، ودُمُوعٌ
ورحيلٌ بين الأقمارِ..

*

يقتُلُني جُبْنُكِ.. يا امرأةً
تتسلَّي من خلف ستارِ
إنّي لا أؤمنُ في حُبٍّ
لا يحملُ نَزَقَ الثُوَّارِ..
لا يكسرُ كلَّ الأسوارِ
لا يضربُ مثلَ الإعصارِ
آهٍ.. لو حُبُّكِ يبلَعُني
يقلَعُني مثلَ الإعصارِ..

*

إنّي خيَّرتُكِ.. فاختاري
ما بين الموتِ على صدري
أو فوقَ دفاتر أشْعَاري
لا توجدُ منْطقةٌ وسطى
ما بينَ الجنَّة والنارِ..

من ديوان «قصائد متوحشة» ١٩٧٠

اختـــاري

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

إني خيرتك فاختاري
ما بين الموت على صدري
أو بين دفاتر أشعاري
إختاري الحب أو اللاحب
فجبن أن لا تختاري. .
لاتوجد منطقة وسطى
ما بين الجنة والنار. .

* * *

إرمي أوراقكِ كاملةً
وسأرضى عن أيِّ قرارِ
قُولي. . انفعلي. . انفجري
لا تقفي مثل المسمار
لا يمكن أن أبقى أبداً
كالقشة تحت الامطار. .

* * *

مرهقة أنت. . وخائفةٌ
وطويل جداً. . مشواري

غوصي في البحر . . أو ابتعدي
لا بحرٌ . . من غير دوار
الحبُّ . . مواجهةٌ كبرى
إبحار ضدَّ التيارِ . .
صَلَبٌ، وعذابٌ، ودموعٌ
ورحيل بين الأقمارِ . .

* * *

يقتلني جُبْنُك . . يا امرأةً
تتسلَّي من خلف ستارِ
إني لا أؤمن في حُبٍّ
لا يحمل نَزَقَ الثُوَّارِ
لا يضرب مثل الإعصارِ
آه . . لو حبك يبلعني
يقلعني مثل الإعصارِ . .
إني خيرتُك . . فاختْاري
ما بين الموت فوق صدري
أو فوق دفاتر أشعاري
لا توجدُ منطقة وسطى
ما بين الجنة والنارِ . .

. . . إلا امرأة إلا أنت

أتقنت اللعبة إلا أنت
واحتملت حماقتي عشرة أعوام مثلما إحتملت
اصطبرت على جنوني مثلما صبرت
وقلما أظافري
ورتبت دفاتري
وأدخلتني روضة الأطفال
إلا أنت
. . . إلا امرأة
تشبهني كصورة زيتية
في الفكر والسلوك. . إلا أنت
والعقل والجنون. . إلا أنت
والملل السريع. . والتعلق السريع. . إلا أنت. .
. . . . . إلا امرأة
قد أخذت من إهتمامي نصف ما أخذتي
واستعمرتني مثلما فعلت
وحررتني مثلما فعلت
. . . . . إلا امرأة
تعاملت معي كطفل عمره شهران إلا أنت. .
وقدمت لي لبن العصفور، والأزهار، والألعاب. . إلا أنت. .
. . . . . إلا امرأة

كانت معي كريمة كالبحر
راقية كالشعر
ودللتني مثلما فعلت
وأفسدتني مثلما فعلت
. . . . . لا امرأة
قد جعلت طفولتي تمتد للخمسين . . إلا أنت
. . . . . لا امرأة
تقدر أن تقول أنها النساء . . إلا أنت
وإن في سُرتها مركز هذا الكون
. . . . . لا امرأة
تتبعها الأشجار عندما تسير إلا أنت
. . . . . لا امرأة
اختصرت بكلمتين قصة الأنوثة
وحرضت رجولتي عليّ، . . إلا أنت
. . . . . لا امرأة
توقف الزمان عندها . . إلا أنت
وقامت الثورات من سفوح الأيسر إلا أنت
. . . . . لا امرأة . . .
. . . . . لا امرأة
تجتاحني في لحظات العشق كالزلزال

تحرقني . . تغرقني
تشعلني . . تطفئني
تكسرني نصفين كالهلال
. . . . . لا امرأة
تحتل نفسي أطول إحتلال
وأجمل إحتلال
نزرعني . .
ورداً . . دمشقياً . . ونعناعاً وبرتقلاً
يا امرأة
أترك تحت شعرها أسئلتي
ولم تجب يوماً على سؤال
يا امرأة
هل اللغات كلها . . لكنها . . تلمس الذهن . . ولا تقال . .
أيتها البحرية العينين . . والشمعية اليدين . . والرائعة الحضور
أيتها البيضاء كالفضة . . والملساء كالبللور
. . . . . لا امرأة
على محيط خصرها تجتمع العصور
وألف ألف كوكب يدور
. . . . . لا امرأة غيرك يا حبيبتي . .
على ذراعيها تربى أول الذكور
وآخر الذكور

أيتها اللماحة، الشفافة، العادلة، الجميلة..
أيتها الشهية، البهية، الرائعة الطفولة..
..... لا امرأة ..
تحررت من حكم أهل الكهف.. إلا أنت
وكسرت أصنامهم.. وبددت أوهامهم
وأسقطت سلطة أهل الكهف إلا انت
..... لا امرأة
إستقبلت بصدرها خناجر القبيلة..
واعتبرت حبي لها.. خلاصة الفضيلة..
..... لا امرأة
جاءت تماما مثلما إنتظرت
وجاء طول شعرها أطول مما شئتُ أو حَلُمتْ
وجاء شكل هواها.. مطابقاً لكل ما خططت أو رسمت
..... لا امرأة
تخرج لي من سحب الدخان، إن دخنت
تطير كالحمامة البيضاء في فكري إذا فكرت
يا امرأة كتبت عنها كتبا بحالها
لكنها.. برغم شعري كله
قد بقيت أجمل من جميع ما كتبت
..... لا امرأة

عرفت الحب معي بمنتهى المهارة
وأخرجتني من غبار العالم الثالث إلا أنت
..... لا امرأة
قبلك.. حلن عُقدي
وثقفت لي جسدي
وحاورته مثلما تحاور القيثارة..
..... لا امرأة ..
تمكنت أن ترفع الحب إلى مرتبة الصلاة
إلا أنت..
إلا أنت..
إلا أنت..

. . . لا امرأة إلا أنت

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

. . . لا امرأة
أتقنت اللعبة إلا أنتِ
واحتملت حماقتي عشرة أعوام
كما احتملت
واصطبرت على جنوني مثلما صبرتِ
وقلمت أظافري ورتبت دفاتري
وأدخلتني روضة الأطفال
إلا أنتِ

* * *

. . . لا امرأة تجتاحني
في لحظات العشق كالزلزال
تحرقني . . تغرقني . . تشغلني . . تطفئني
تكسرني نصفين كالهلال
تحتل نفسي أطول احتلال
وأجمل احتلال . . إلا أنتِ

* * *

يا امرأة أعطتني الحب بمنتهى الحضارة
وحاورتني مثلما تحاول القيثارة
تطير كالحمامة البيضاء في فكري
إذا فكرت
تخرج كالعصفور من حقيبتي
إذا أنا سافرت
تلبسني كمعطف عليها
في الصيف والشتاء
أيتها الشفافة اللماحة العادلة الجميلة
أيتها الشهية البهية الدائمة الطفولة
. . . لا امرأة على محيط خصرها
تجتمع العصور
وألف ألف كوكب يدور
. . . لا امرأة يا حبيبتي
على ذراعيها تربى أول الذكور
وآخر الذكور
إلا أنتِ.

جسمك خارطتي

زيديني عشقاً . . زيديني
يا أحلى نَوْبَاتِ جُنُوني
يا سَفَرَ الخنجر . . في أنْسِجَتي
يا عَلْعَلَة السكِّين . .
زيديني غَرَقاً يا سيِّدتي . .
إنَّ البحرَ يناديني
زيديني موتاً . .
على الموت، إذا يقتُلُنيو يُحييني . .
جسمُكِ خارطتي . . ما عادتْ
خارطةُ العالم تَعنيني . .
أنا أقدمُ عاصمةٍ للحزن . .
وجُرحي نَقْشٌ فرعُوني
وَجَعي . . يمتدُّ كبقعةِ زيتٍ
من بيروتَ . . إلى الصين . .
وَجَعي قافلةٌ . . أرسلها
خلفاءُ الشامِ . . إلى الصينِ
في القرن السابع للميلاد . .

وضاعتْ في فم تنِّينِ.
عصفورةَ قلبي. نَيْسَاني
يا رمَل البحر، ويا غاباتِ الزيتونِ
يا طعمَ الثلج، وطعمَ النار..
ونكهةَ شكي، ويقيني
أشعرُ بالخوف من المجهول.. فآويني
أشعرُ بالخوف من الظلماء.. فشُمِّيني
أشعرُ بالبرد.. فغطيني
إحكي لي قصصاً للأطفالِ
اضطجعي قربي..
غنيني..
فأنا من بدءِ التكوينِ
أبحثُ عن وطنٍ لجبيني..
عن شَعْر امرأةٍ..
يكتُبني فوق الجدران.. ويمحوني
عن حُبّ امرأةٍ.. يأخذني
لحدود الشمس.. ويرميني
عن شفة امرأةٍ.. تجعلني
كغُبار الذَهَبِ المطحونِ..

*

نوَّارةَ عمري . مروحَتي
قنديلي . بوحَ بساتيني
مُدّي لي جسراً من رائحة الليمونِ . .
وضَعيني مشطاً عاجِيّاً
في عُتْمة شعرْكِ . . وانسيني
أنا نقطةُ ماءٍ . . حائرةٌ
بقيَتْ في دفتر تشرينِ
يدهسني حبُّكِ . . مثلَ حصانٍ قرقازيٍّ مجنونِ
يرميني تحت حوافرِهِ . .
يتغرغر في ماءِ عيوني . .

*

زيديني عنفاً . . زيديني
يا أحلى نَوْباتِ جنوني
من أجلك أعتقتُ نسائي
وشطتُ شهادةَ ميلادي
وقطعتُ جميعَ شراييني . . .

من ديوان «أشعار خارجة على القانون» ١٩٧٢

زيديني عشقا

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

زيديني عشقا زيديني
يا أحلى نوبات جنوني
زيديني غرقاً يا سيدتي
إن البحر يناديني
زيديني موتاً علّ الموت
إذا يقتلني يحيين

* * *

يا أحلى امرأة بين نساء الكون
أحبيني
يا من أحببتك حتى احترق الحب
أحبيني
إن كنت تريدين السكنى
أسكنتك في ضوء عيوني
حبك خارطتي
ما عادت خارطة العالم تعنيني
أنا أقدم عاصمة للحزن

وجرحي نقش فرعوني
وجعي يمتد كسرب حمام
من بغداد إلى الصين

* * *

عصفورة قلبي نيساني
يا رمل البحر وروح الروح
ويا غابات الزيتونِ
يا طعم الثلج وطعم النار
ونكهة شكى ويقيني
أشعر بالخوف من المجهول فآويني
أشعر بالخوف من الظلماء فضميني
أشعر بالبرد فغطيني
وظلي قربي غنّي لي
فأنا من بدء التكوين
أبحث عن وطن لجبيني
عن حب امرأة يأخذني
لحدود الشمس ويرميني

* * *

نوارة عمري.. مروحتي.. قنديلي
فوح بساتيني

قدّي لي إثراً من رائحة الليمون
وضعيني مشطاً عاجياً في عتمة شعر
وانسيني
من أجلك اعتقت نسائي
وتركت التاريخ ورائي
وشطبت شهادة ميلادي
وقطعت جميع شرايين.

* * *

قصيدة الحزن

علَّمني حبُّكِ . . أن أحزنْ
وأنا محتاجٌ منذ عصورْ
لامرأةٍ تجعلُني أحزنْ
لامرأةٍ أبكي فوق ذراعيْها
مثلَ العصفورْ
لامرأةٍ . . تجمعُ أجزائي
كشظايا البلّلور المكسورْ

*

علّمني حبُّكِ، سيِّدتي، أسوأ عاداتْ . .
علّمني . . أفتَحُ فنجاني
في الليلة، آلافَ المرَّاتْ . .
وأُجرّبُ طِبَّ العطَّارينَ . .
وأطْرقُ بابَ العرَّافاتْ . .
علَّمني . . أخرجُ من بيتي . .
لأُمَشِّطَ . . أرصفةَ الطُرُقَاتْ . .
وأُطاردَ وجْهَكِ . .
في الأمطارِ . .

وفي أضواءِ السَيَّاراتْ . .
وأُطاردَ ثوبَكِ . .
في أثواب المجهولاتْ
وأُطاردَ طيفَكِ . .
حتَّى . . حتَّى . .
في أوراق الإعلاناتْ . .
عَلَّمني حُبُّكِ . .
كيفَ أهيمُ على وجهي . . ساعاتْ
بحثاً عن شعرٍ غَجَريٍّ
تحسدُهُ كلُّ الغَجَرِيَّاتْ
بحثاً عن وجه . . عن صوت . .
هو كلُّ الأوجُهِ والأصواتْ

*

أدخلني حُبُّكِ . . سَيِّدتي
مُدُنَ الأحزانْ
وأنا مِنْ قبلكِ لم أدخُلْ
مُدُنْ الأحزانْ . .
لمْ أعرفْ أبداً . .
أنَّ الدمعَ هو الإنسانْ
أنَّ الإنسانَ بلا حُزْن

ذكرى إنسانْ . .

*

عَلَّمني حُبُّكِ . .
أن أتصرَّفَ كالصبيانْ
أنْ أرسمَ وجهكِ بالطَبْشُورِ
على الحيطانْ . .
وعلى أشرعةِ الصيَّادينَ
عَلَّمني حُبُّكِ . . كيفَ الحبُّ
يُغَيِّرُ خارطةَ الأزمانْ . .
عَلَّمني . . أنّي حينَ أُحبُّ . .
تكُفُّ الأرضُ عن الدَوَرَانْ
عَلَّمني حُبُّكِ أشياءً . .
ما كانتْ أبداً في الحُسْبَانْ
فَقَرأتْ أقاصيصَ الأطفال . .
دخلتُ قُصُورَ ملوكِ الجانْ
وحَلمتُ بأنْ تتزوَّجني
بِنْتُ السُلْطَانْ . .
تِلْكَ العَيْناهَا . .
أصفي مِنْ ماء الخُلْجَانْ
تلكَ الشَفَتَاهَا . .

أشهى من زَهْر الرُمَّانْ
وَحَلِمتُ بأنّي أخطُفُها مثلَ النُرْسانْ..
وحلمتُ بأنّي أُهديها أطواقَ للؤلؤ والمَرْجانْ
عَلَّمني حُبُّكِ، يا سيِّدتي، ما الهَذَيانْ
عَلَّمني.. كيفَ يمرُّ العُمْرُ..
ولا تأتي بنْتُ السلْطانْ..

*

عَلَّمني حُبُّكِ..
كيفَ أُحبُّكِ في كُلِّ الأشياءْ
في الشَجَر العاري، في الأوراقِ اليابسةِ الصفراءْ
في الجوِّ الماطر.. في الأنواءْ..
في أصْغَرِ مقهى.. نَشْرَبُ فيهِ..
مساءً.. قهوتَنا السواءْ..
عَلَّمني حُبُّكِ.. أنْ آوي..
لفنادقَ ليسَ لها أسماءْ
ومَقاهٍ ليس لها أسماءْ
عَلَّمني حُبُّكِ.. كيفَ الليلُ
يُضَخِّمُ أحزانَ الغُرَبَاءْ..
عَلَّمني.. كيفَ أرى بيروتْ
إمرأةً.. طاغيةَ الإغراءْ..

امرأةً.. تلبسُ كُلَّ مساءْ
أجملَّ ما تملكُ من أزياءْ
وتَرُشُّ العطرَ على شعرها
علَّمني حُبُّكِ أنْ أبكي من غير بُكاءْ
علَّمني كيف ينامُ الحُزْنْ
كغُلامٍ مَقْطُوعِ القَدَمَيْنْ..
في طُرُقِ (الرَوّشَة) و(الحمراءْ)..
علَّمني حُبُّكِ أن أحزَنْ..
وأنا محتاجٌ منذُ عُصُورْ
لامرأةٍ.. تجعلني أحزنْ..
لامرأةٍ أبكي فوقَ ذراعَيْها
مثلَ العصفورْ..
لامرأةٍ تجمعُ أجزائي..
كشظايا البلَّورْ المكسورْ..

من ديوان «قصائد متوحشة» ١٩٧٠

مدرسة الحب

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

علمني حبك أن أتصرف كالصبيان
أن أرسم وجهك بالطبشور
على الحيطان
علمني حبك كيف الحب
يغير خارطة الأوطان
علمني أني حين أحب
تكف الأرض عن الدوران
علمني حبك أشياء ما كانت أبداً
في الحسبان
فقرأت أقاصيص الأطفال
دخلت قصور ملوك الجان
وحلمت بأن تتزوجني بنت السلطان
تلك العيناها أصفى من ماء الخلجان
تلك الشفتاها أشهى من زهر الرمان
وحلمت بأني أخطفها مثل الفرسان
وحلمت بأني أهديها

أطواق اللؤلؤ والمرجان

علمني حبك يا سيدتي ما الهذيان
علمني كيف يمر العمر
ولا تأتي بنت السلطان

أحبـــك جـــداً

أحبُّكِ جِدًّا . .
وأعرفُ أنّي تورّطتُ جِدًّا
وأحرقتُ خلفي جميعَ المراكبْ . .
وأعرفُ أنّي سأُهزَمُ جِدًّا . .
برغمِ ألوف النساءِ
ورغْمِ ألوفِ التجاربْ . .
أحبُّكِ جِدًّا . .
وأعرفُ أني بغابات عينيْك . .
وحدي أُحاربْ
وأنّي . . ككُلِّ المجانينِ . .
حاولتُ صَيْدَ الكواكبْ . .
وأبقى أُحبُّكِ . . رغمَ اقتناعي
بأنَّ بقائي إلى الآن حيّاً
أقاومُ نَهْدَيْكِ . . إحدى العجائبْ . .
أُحبُّكِ جِدًّا . .
وأعرفُ أني أُقامرُ
برأسي . وأنَّ حصانيَ خاسرْ

وأنَّ الطريقَ لبيت أبيك
محاصرةٌ بألوف العساكرْ
وأبقى أُحبُّكِ . . رغمَ يقيني
بأن التَلفُّظ باسمكِ كُفْرٌ
وأنّي أحاربُ . . فوقَ الدفاترْ

*

أُحبُّكِ جدًّا . .
وأعرفُ أنَّ هواكِ انتحارُ
وأنّيَ حينَ سسأُكملُ دَوْرِي
سَيُرْخَى عليَّ الستارُ . .
وأُلقي برأسي على ساعِدَيْكِ

وأعرفُ أنْ لن يجيءَ النهارُ
وأُقْنعُ نفسي بأنَّ سُقُوطي . .
قَتيلاً على شَفَتَيْكِ . . انتصارْ

*

أُحبُّكِ جِدًّا . .
وأعرفُ منذُ البدايَهْ . .
بأنّي سأفشَلْ
وأنّي خلالَ فُصُولِ الروايَهْ

سأُقْتَلْ . .
ويُحْمَلُ رأسي إليكْ
وأنِّي سأبقى ثلاثينَ يوماً
مُسجَّى كطفلٍ على رُكْبَتَيْكْ
وأفرحُ جداً . . بَروْعِة تلك النهايَهْ . .

من ديوان «قصائد متوحشة» ١٩٧٠

أحبـــك جـــداً

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

أحبك جداً . .
وأعرف أن الطريق إليك طويل
وأعرف أنك ست النساء
وليس لدي بديل
وأعرف أن زمان الحنين انتهى
ومات الكلام الجميل
لست النساء ماذا أقول
أحبك جداً . .
أحبك جداً وأعرف أني أعيش بمنفى
وأنت بمنفى . . وبيني وبينك . .
ريح وبرق وغيم ورعد وثلج ونار
وأعرف أن الوصول إليك انتحار
ويسعدني . .
أن أمزق نفسي لأجلك أيتها الغالية
ولو . . ولو خيروني لكررت حبك للمرة الثانية
يا من غزلت قميصك من ورقات الشجر

أيا من حميتك بالصبر من قطرات المطر
أحبك جداً . . وأعرف أني أسافر في بحر عينيك
دون يقين
وأترك عقلي ورأيي وأركض . . وأركض
خلف جنوني
أيا امرأة . . تمسك القلب بين يديها
سألتك بالله . . لا تتركيني
فما أكون أنا إذا لم تكوني

* * *

أحبك جداً . . وجداً . . وجداً
وأرفض من نار حبك أن استقيلا
وهل يستطيع المتيم بالحب أن يستقيلا
وما همني . . أن خرجت من الحب حيا
وما همني أن خرجت قتيلاً

صباحك سكر

إذا مـــــــــرَّ يـومٌ. ولـم أتـذكَّـــــــــرْ
بـه أن أقـــــولَ: صـــــبـــــاحُـكِ سُكَّـرْ..
ورحـتُ أخطُّ كـطـفـلٍ صـــــغـــــيـــــرٍ
كـــــلامـــاً غـــريبـــاً على وجـــه دفـــتـــرْ
فـــلا تَضْـــجـــري من ذهـولي وصـــمـــتي
ولا تحـــسـبي أنَّ شـــيـــئـــاً تغـــيَّـــرْ
فـــــحين أنـا لا أقـــــولُ: أُحـبُّ..
فـــمـــعناهُ أنّي أُحـــبُّكِ أكـــثـــرْ..

*

إذا جـــــئـــــتِني ذات يـومٍ بـثـــــوبٍ
كـعـشب البـحـيـرات.. أخـضـرَ.. أخـضـرْ
وشَـــعْـــرُكِ ملقـىً على كَـــتِـــفَـــيكِ
كـبـحـرٍ.. كـأبعـاد ليلٍ مـبـعـثـرْ
ونهـــدُكِ.. تحت ارتفـــاف الـقـــمـــيصَ
شـــهيٌّ.. شـــهيٌّ.. كطعنة خـنجـــرْ
ورحـتُ أعـبُّ دخـــــانـي بعـــــمـقٍ
وأرشـف حـــــــبْـــــرَ دَواتـي وأسـكـرْ

فـــلا تنعـــتـــيـني بمـوت الشـــعـــورِ
ولا تحـــســـبـي أنّ قلـبـي تحـــجَّـــرْ
وبـالـوَهْـم.. أزرعُ شـــعـــركِ دِفْـلـى
وقـــمـــحـــاً.. ولوزاً.. وغـــابات زعـــتـــرْ..

*

إذا مـــا جـلـستِ طـويـلاً أمـــامـي
كـــمـــلـكةٍ من عـــبـــيـــر ومـــرمـــرْ..
وأغـــمـــضتُ عـن طيِّـــبـــاتـكِ عـــيـني
وأهـملـتُ شـكـوى القـــمـــيـص المـعطّـرْ
فـــلا تحـــســـبـي أنـنـي لا أراك
فـــبـــعـضُ المواضـــيـع بالـذهن يُـبْـصَـرْ
فـــفـي الظـلِّ يـغـــدو لـعطـرك صـــوتٌ
وتصـــبـح أبعـــادُ عـــينـيكِ أكـــبـــرْ
أُحـــبُّـكِ فـــوقَ المحـــبَّـــة.. لكـنْ
دعـــيـني أراكِ كـــمـــا أتـصـــوَّرْ..

من ديوان «الرسم بالكلمات» ١٩٦٦

صباحك سكر

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

إذا مر يوم ولم أتذكر فيه
أن أقول صباحك سكر
فلا تحزني من ذهولي وصمتي
ولا تحسبي أن شيئاً تغير
فحين أنا لا أقول أحبك
فمعناه أني أحبك أكثر
صباحك سكر
إذا ما جلست طويلاً أمامي
كمملكة من عبير ومرمر
وأغمضت عن طيباتك عيني
وأهملت شكوى القميص العطر
فلا تنعتيني بموت الشعور
ولا تحسبي أن قلبي تحجر
أحبك فوق المحبة
لكن دعيني أراك كما أتصور
صباحك سكر.

أكــرهها

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

أكرهها واشتهي وصلها
وإني أحب كرهي لها
أحب هذا المكر في عينها
وزورها إن زورت قولها

* * *

عين كعين الذئب محتالة
طافت أكاذيب الهوى حولها
قد سكن الجنون أحداقها
وأطفأت ثورتها عقلها

* * *

أشك في شكي إذا أقبلت
باكية . . شارحة ذلها
فإن ترفقت لها . . استكبرت
وجرت ضاحكة ذيلها
إن عانقتني كسرت أضلعهن
وأفرغت علي فمي غلها
يحبها حقدي ويا طالما
وددت إذ طوقتها . . قتلتها .

إلى تلميذة

قُلْ لـي - ولو كَـــذِباً - كـــلامـــاً ناعـــمـــاً
قـــد كـــادَ يـقـــتلني بكَ الـتـــمـــثـــالُ
مـــــازلتِ فـي فـنِّ المحـــبَّـــة.. طـفلـةً
بـيـني وبـيـنـك أبْحُـــــرٌ وجـــبـــالُ
أنَّ الرجـــالَ جـــمـــيـــعَـــهـمْ.. أطفـــالُ
إنـي لأرفضُ أن أكـــون مـــهـــرِّجـــاً
قَـــزْمـــاً.. عـلى كَـلِمـــاتهِ يـحـــتـــالُ
فـــإذا وقـــفتُ أمـــام حـــسنكِ صـامـــتـا
فـــالصـمـتُ في حَـــرَمِ الجـمـــالِ.. جـمـــالُ
كَـلِمـــــاتُنا فـي الحبِّ.. تـقـــتل حـــبَّنا
إنَّ الحـــــــروفَ تموتُ حـينَ تـقـــــالُ

*

قَـــصصُ الهـــوى قـــد أفـــسـدتك.. فـكلُّهـــا
غـــيـــبـــوبةٌ.. وخـــرافـــةٌ.. وخـــيـــالُ
الحـبُّ لـيـس روايةً شـــــرقـــيـــةً
بـخـــتـــامـــهـــا يـتـــزوَّج الأبطـالُ
لـكـنّهُ الإبـحـــــارُ دون ســـــفـــيـنة

وشـــــعـــــورُنا أنَّ الـوصـــــولَ مـــــحـــــالُ

*

هـو أن تظـلَّ علـى الأصـــــابـعِ رعـــــشـــــةٌ
وعلـى الشـــــفـــــاهِ المـطبَـــــقـــــاتِ ســـــؤالُ
هـو جـــــدولُ الأحـــــزانِ في أعـــــمـــــاقنـا
تـنمـــــــو كـــــرومٌ حـــــولهُ وغِـــــلالُ
هو هـذه الأزَمـــــاتُ تســـــحـــــقـنا مـــــعـــــاً
فـنـمـــــــوتُ نـحـنُ.. وتـزهـرُ الآمـــــــالُ
هـو أنْ نـثـــــــورَ لأيِّ شـيءٍ تـافـــــــه
هـو يـأسُـنا.. هـو شـكُّـنـا الـقـــــتَّـــــالُ
هـو هـذه الـكـفُ التـي تـغـــــتـــــالُـنـا
ونـقـــــبِّلُ الـكـفَّ الـتي تـغـــــتـــــالُ..

*

لا تجـــرحي الـتـــمـــثـــالَ فـي إحـــســـاســـه
فـلكـم بكـى في صـــمـــتـــه.. تمـثـــالُ
قـــد يُطْلِـعُ الحـجـــرُ الصـــغـــيـــرُ بـراعـمـــاً
وتســـــــيـلُ منـهُ جـــــــداولٌ وظـلالُ
إنِّـي أُحـــــبُّـكِ.. من خـــــلالِ كـــــآبتـي...
حـــــسـبـي وحـــــسـبُـكِ.. أنْ تظلِّـي دائمـــاً
ســـــــراً يمـزِّقـنـي.. ولـيـس يـقـــــــالُ..

من ديوان «الرسم بالكلمات» ١٩٦٦

إلى تلمـــيذة

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

قول لي - ولو كذباً - كلاماً ناعماً
قد كاد يقتلني بك التمثال
مازلت في فن المحبة . . طفلة
بيني وبينك أبحر وجبال
لم تستطيعي - بعد - أن تتفهمي
أن لارجال جميعهم أطفال
فإذا وقفت أمام حسنك صامتاً
فالصمت في حرم الجمال . . جمال
إن الحروف تموت حين تقال

* * *

قصص الحب قد أفسدتك فكلها
غيبوبة وخرافة وخيال

* * *

الحب ليس رواية شرقية
بختامها يتزوج الابطال
لكنه الأبحار دون سفينة

وشعورنا أن الوصول محال
هو أن تظل على الاصابع رعشة
وعلى الشفاه المطبقات سؤال
هو جدول الاحزان في أعماقنا
تنمو كروم حوله . . وغلال
هو هذه الازمات تسحقنا معاً
هو أن نثور لأي شيء تافه
هو يأسنا . . هو شكنا القتال
هو هذه الكف التي تغتالنا
ونقبل الكف التي تغتال
لا تجرحي التمثال في إحساسه
فلكم بكى في صمته . . تمثال
حسبي وحسبك أن تظلي دائماً
سراً يمزقني وليس يقال .

قصيدة التحديات

أتحدّى كلَّ عشّاقكِ يا سيّدتي
من ملوكٍ،
ومشاهيرَ،
وقُوّادٍ عِظامِ..
أن يكونوا صنعوا تَخْتَكِ من ريش النَعَامِ.
أو يكونوا أطعموا نهْديكِ.. يا سيّدتي
بَلَحَ البصرةِ
أو تُوتُ الشامِ..
أتحدّاهُمْ جميعاً..
أن يحظُّوا لكِ مكتوبَ هوىً
كمكاتيب غرامي..
أو يجيئوكِ - على كثرتهمْ -
بحروفٍ كحروفي، وكلامٍ ككلامي..

*

أتحدّى..
مَنْ إلى عينيكِ، يا سيّدتي، قد سبقُوني
يحملونَ الشمسَ في راحاتهمْ..
وعقودَ الياسمينِ..

أتحدّى كلَّ من عاشَرتِهمْ
من مجانينَ، وأطفالٍ، ومفقودينَ في بحر الحنينِ
أنْ يُحبوّكِ بأسلوبي، وطَيْشي، وجُنوني..

*

أتحدَّى..
كُتُبَ العشقِ.. ومخطوطاتِهِ
منذُ آلافِ القرونِ..
أن تَرَيْ فيها كتاباً واحداً
فيهِ، يا سيّدتي، ما ذَكَرُوني
أتحدّاكِ أنا.. أنّ تَجدي
وطناً مثلَ فمي..
وسريراً دافئاً.. مثلَ عُيُوني

*

أتحدَّى..
كلَّ من جاؤوكِ، يا سيّدتي، من آسِيَا
بصناديقِ الحُلَي، وقواريرِ العطورْ
فمِنَ الصين الأواني
ومِنَ الهند البخورْ...

*

أتحدَّى..
كلَّ من جاؤوكِ من إفريقيا

بصنوف العاج، أو جلد النُمُورْ
واشتروا حبكِ يا سيدتي
بخزافيِّ المُهُورْ..
أتدحَّاهم جميعاً..
أن يكونوا اكتشفُوا..
كيف تَعفو بين أهدابِكِ آلافُ الطيورْ
أو يكونوا اقتنعوا..
أنَّ ... يدورانِ كما الشمسُ تدورْ..
أتحدَّاكِ أنا.. أنْ تذكُري
رجُلاً من بين من أحْبَبْتِهمْ
أفرغَ الصيفَ بعينيكِ.. وفيروزَ البحورْ

*

أتحدّى..
مُفْرداتِ الحُبّ في شَتَّى العصورْ
والكتاباتِ على جدرانِ صيدونَ وصُورْ
فاقرأي أقدمَ أوراق الهوى..
تَجِديني دائماً بين السطورْ
إنّني أسكُنُ في الحُبّ..
فما من قُبْلةٍ..
أُخذَتْ.. أو أُعْطيَتْ
ليسَ لي فيها حلولٌ أو حضورْ...

أتحدَّى أشَجَعَ الفُرْسانِ . . يا سيِّدتي
وبواريدَ القبيلَهْ . .
أتحدَّى من أحَبُّوكِ ومَنْ أحْبَبْتِهمْ
منذْ ميلادِ . . حتى صرتِ كالنَخْل العراقيِّ . . طويلَهْ
أتحدَّاهم جميعاً . .
أن يكونوا قطرةً صُغرى ببحري . .
أو يكونوا أطفأوا أعمارهُمْ
مثلما أطفأتُ في عينيكِ عُمري . .
أتحدّاكِ أنا . . أنْ تَجِدي
عاشقاً مثلي . .
وعصراً ذهبيّاً . . مثلَ عصري . .
فارحلي، حيث تريدينَ، ارحلي . .
واضحكي،
وابكي،
وجُوعي،
وتعرّي . .
فأنا أعرفُ أنْ لنْ تجدي
غابةً فيها تنامين كصدري . . .

من ديوان «أشعار خارجة على القانون» ١٩٧٢

التحـــديـــات

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

أتحدى
مَن إلى عينيك، يا سيدتي، قد سبقوني
يحملون الشمس في راحاتهم. .
وعقود الياسمين
أتحدى كل من عاشرتهم
من مجانين، وأطفال، ومفقودين في بحر الحنين
أن يحبوك بأسلوبي، وطيشي، وجنوني

* * *

اقرأي أقدم أوراق الهوى
تجديني دائماً بين السطور
إنني اسكن في الحب
فما من قبلةٍ. .
أخذت. . أو أعطيتْ
ليس لي فيها حلول أو حضور
أتحدى من أحبوك ومن أحببتهم
أن يكونوا قطرة صغرى ببحري

أو يكونوا أطفأوا أعمارهم
مثلما أطفأت في عينيك عمري
أتحداك أنا . . أن تجدي
عاشقا مثلي . .
وعصراً ذهبياً . . مثل عصري
فارحلي، حيث تريدين، ارحلي
واضحكي،
وابكي،
وجوعي
وتعري
فأنا أعرف أن لن تجدي
عاشقا مثلي .

كل عام وأنت حبيبتي..

١

كلَّ عامٍ وأنتِ حبيبتي.
أقولُها لك
عندما تدقُّ الساعةُ منتصفَ الليلْ
وتغرقُ السنةُ الماضيةُ في مياه أحزاني
كسفينةٍ مصنوعةٍ من الورقْ..
أقولُها لكِ على طريقتي..
متجاوزاً كلَّ الطقوس الاحتفاليَّهْ
التي يمارسها العالم منذ ١٩٧٥ سنة..
وكاسراً كلَّ تقاليد الفرح الكاذب
التي يتمسك بها الناس منذ ١٩٧٥ سنة..
ورافضاً..
كلَّ العبارات الكلاسيكية..
التي يردّدها الرجالُ على مسامع النساءْ
منذ ١٩٧٥ سنة..

٢

كلَّ عامٍ وأنتِ حبيبتي.
أقولُها لكِ بكلِ بساطة..

كما يقرأ طفلٌ قبل النومْ
وكما يقف عصفورٌ على سنبلة قمحْ..
فتزدادُ الأزاهيرُ المشغولةُ على ثوبكِ الأبيض..
زهرةً..
وتزداد المراكبُ المنتظرةُ في مياه عينيكِ..
مركباً..
أقولُها لكِ بحرارةٍ ونَزَقْ
كما يضربُ الراقصُ الإسبانيُّ قَدَمَهُ بالأرضْ
فتتشكَّلْ ألوفُ الدوائرْ
حولَ محيط الكرة الأرضيَّهْ..

٣

كلَّ عامٍ وأنتِ حبيبتي.
هذه هي الكلماتُ الأربعْ..
التي سألفُّها بشريطٍ من القَصَبْ
وأُرسلُها إليكِ ليلةَ رأس السنَهْ.
كلُّ البطاقات التي يبعيونها في المكتباتْ
لا تقولُ ما أريده..
وكلُّ الرسوم التي عليها..
من شموعٍ.. وأجراسٍ.. وأشجارٍ.. وكُراتِ
ثلجْ..

وأطفال . . وملائكهْ . .
لا تناسِبُني . .
إنني لا أرتاح للبطاقات الجاهزه . .
ولا للقصائد الجاهزه . .
ولا للتمنيَّات التي برسم التصديرْ
فهي كلُّها مطبوعة في باريس، أو لندن،
أو أمستردام . .
ومكتوبةٌ بالفرنسية، أو الإنكليزية . .
لتصلحَ لكلِّ المناسباتْ
وأنت لست امرأةَ المناسباتْ . .
بل أنتِ المرأةُ التي أُحبُّها .
أنتِ هذا الوجعُ اليوميُّ . .
الذي لا يُقالُ ببطاقات المُعايَدَهْ . .
ولا يُقالُ بالحُروف اللاتينيَّهْ . .
ولا يُقالُ بالمُراسلهْ . .
وإنما يُقالُ عندما تدقّ الساعةُ منتصفَ الليلْ . .
وتدخلين كالسمكة إلى مياهي الدافئهْ . .
وتستحمّين هناكْ . .
ويسافرُ فمي في غاباتِ شَعْرِكِ الغَجَريّ
ويَستوطنُ هناكْ . .

٤

لأنّني أحبّك..
تدخُلُ السنةُ الجديدةُ علينا..
دخولَ الملوكْ..
ولأنّني أحبّكِ..
أحملُ تصريحاً خاصاً من...
بالتجوُّل بين ملايين النجومْ..

٥

لن نشتري هذا العيد شَجَرَهْ
ستكونينَ أنتِ الشَجَرَهْ
وسأُعلّقُ عليكِ..
أمنياتي.. وصَلَواتي..
وقناديلَ دموعي..

٦

كلَّ عامٍ وأنتِ حبيبتي.
أمنيةٌ أخافُ أن أتمنّاها
حتى لا أُتَّهَمَ بالطمع أو بالغرورْ
فكرةٌ أخافُ أن أُفكِّر بها..
حتى لا يسرقَها الناسُ منّي..
ويزعُموا أنّهم أوّلُ من اخترعَ الشِّعْرْ..

٧

كلَّ عامٍ وأنتِ حبيبتي..
كلَّ عامٍ وأنا حبيبُكِ..
أنا أعرفُ أنني أتمنى أكثرَ مما ينبغي..
وأحلُمُ أكثرَ من الحدِّ المسموح به..
ولكنْ..
من له الحقُّ يحاسبني على أحلامي؟
من يحاسبُ الفقراءْ
إذا حلموا أنهم جلسوا على العرشْ
لِمُدّةِ خمسِ دقائقْ؟
من يحاسب الصحراء إذا توحَّمتْ على جدول ماءْ؟
هناكَ ثلاثُ حالاتٍ يصبحُ فيها الحُلُمُ شرعياً:
حالةُ الجنونْ..
وحالةُ الشِعْرْ..
وحالةُ التعرّفِ على امرأةٍ مدهشةٍ مثلكِ..
وأنا أعاني - لحسن الحظّ -
من الحالات الثلاثْ..

٨

أتركي عشيرتَكِ..
واتبعيني إلى مغائري الداخليه

أتركي قُبَّعَةَ الورقْ . .
وموسيقى الجيرك . .
والملابسَ التنكريَّهْ . .
واجلسي معي تحت شَجَر البرقْ . .
وعباءةِ لشعْر الزرقاءْ . .
سأغطّيكِ بمعطفي من مَطَر بيروتْ
من أقبية الرهبانْ . .
وسأصنعُ لكِ طبقاً إسبانياً . .
من قواقع البحرْ . .
إتبعيني - يا سيّدتي - إلى شوارع الحلم الخلفيَّهْ . .
فلسوفَ أطلعكِ على قصائدَ لم أقرأها لأحَدْ . .
وأفتحُ لكِ حقائبَ دموعي . .
التي لم أفتحها لأحَدْ . .
ولسوفُ أحبّكِ . .
كما لا أحبَّكِ أحدْ . .

٩

عندما تدقُّ الساعةُ الثانيةَ عَشْرَهْ
وتفقد الكرةُ الأرضيَّةُ توازنَها
ويبدأ الراقصون يفكّرون بأقدامهمْ . .
سأنسحبُ إلى داخل نفسي . .

وأسحبك معي . .
فأنتِ امرأةٌ لا ترتبط بالفَرَح العامْ
ولا بالزمنِ العامْ . .
ولا بهذا السيرك الكبير الذي يمرُّ أمامنا . .
ولا بتلك الطبول الوثنية التي تقرع حولنا . .
ولا بأقنعة الورق التي لا يبقى منها في آخر الليل
سوى رجالٍ من ورق . .
ونساءٍ من ورقْ . .

١٠

آهِ . . يا سيِّدتي
لو كان الأمرُ بيدي . .
إذنْ لصنعتُ سنةً لكِ وحدَكِ
تُفصّلين أيّامَها كما تريدينْ
وتسندينَ ظهركِ على أسابيعها كما تريدينْ
وتتشمَّسينْ . .
وتستحمّينْ . .
وتركضينَ على رمال شهورها . .
كما تريدينْ . .
آهِ . . يا سيِّدتي . .
لو كانَ الأمرُ بيدي . .

لأقمتُ عاصمةً لكِ في ضاحية الوقتْ
لا تأخذ بنظام الساعات الشمسيّة والرمليَّة
ولا يبدأ فيها الزمنُ الحقيقيّ
إلاّ
عندما تأخذُ يُدكِ الصغيرةُ قيلولَتها
داخلَ يدي . .

١١

كلَّ عامٍ وعيناكِ أيقونتانِ بيزنطيّتانْ . .
يتدحرجانِ على الثلجْ
كلَّ عامٍ . . وأنا متورّطٌ بكِ . .
ومُلاحَقٌ بتهمةِ حبّكِ . .
كما السماءُ مُتَّمَةٌ بالزُرْقَهْ
والعصافيرُ مُتَّهمَةٌ بالسَفَرْ . .
والشَفَةُ متَّهمَةٌ بالإستدارَهْ . .
كلَّ عامٍ وأنا مضروبٌ بزلازلكْ . .
ومبلَّلٌ بأمطاركْ . .
ومحفورٌ - كالإناءِ الصينيّ - بتضاريس جسمكْ
كلَّ عامٍ وأنتِ . . لا أدري ماذا أُسمّيكِ . .
إختاري أنتِ أسماءكِ . .
كما تختارُ النقطةُ مكانَها على السطرْ

وكما يختارُ المشطُ مكانَه في طيَّات الشَّعْر..
وإلى أن تختاري إسمكِ الجديدْ
إسمحي لي أن أناديك:
«يا حبيبتي»...

من ديوان «كل عام وأنتِ حبيبتي» ١٩٧٨

كل عام وأنت حبيبتي

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

كل عام وأنت حبيبتي
أقولها لك على طريقتي
رافضاً.. كل العبارات الكلاسيكية
التي يرددها الرجال على مسامع النساء

* * *

لن نشتري هذا العيد شجرة
ستكونين أنت الشجرة
وسأعلق عليكِ أمنياتي..
وقناديل دموعي

* * *

آه.. يا سيدتي
لو كان الأمر بيدي
إذن لصنعت سنة لكِ وحدكِ
تفصلين أيامها كما تريدين
وتسندين ظهرك على أسابيعها كما تريدين
وتتشمسين..

كل عام وأنت حبيبتي

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

كل عام وأنت حبيبتي
أقولها لك على طريقتي
رافضاً . . كل العبارات الكلاسيكية
التي يرددها الرجال على مسامع النساء

* * *

لن نشتري هذا العيد شجرة
ستكونين أنتِ الشجرة
وسأعلق عليك أمنياتي . .
وقناديل دموعي

* * *

آه . . يا سيدتي
لو كان الأمر بيدي
إذن لصنعت سنة لكِ وحدكِ
تفصلين أيامها كما تريدين
وتسندين ظهرك على أسابيعها كما تريدين
وتتشمسين . .

وتستحمين . .
وتركضين على رمال شهورها
كما تريدين . .

قــولي أحبـــك

قُولي (أُحِبُّك) . . كيْ تزيدَ وَسَامتي
فبغير حُبّك لا أكونُ جميلا . .
قولي (أُحِبُّكَ) كي تصيرَ أصابعي
ذَهَباً . . وتُصبحَ جبهتي قِنْديلا
قُولي (أُحِبُّك) كي يتمَّ تحوُّلي
فأصير قمحاً، أو أصير نخيلا
الآنَ قُوليها، ولا تتردَّدي
بعضُ الهوى لا يَقبَلُ التأجيلا
قُولي (أُحِبُّكَ) كي تزيدَ قداستي
ويصيرَ شعري في الحوى إنجيلا
سأُغيِّرُ التقويمَ لو أحْبَبْتِني
أمْحُو فُصُولاً، أو أُضيف فُصُولا
وسينتهي العصرُ القديمُ على يدي
وأُقيمُ مملكةَ النساء بديلا . .
قُولي (أُحِبُّك) كي تصيرَ قصائدي
مائيّةً وكتباتي تنزيلا
مَلِكٌ أنا . . لو تُصْبحينَ حبيبتي
أغزو الشموسَ مراكباً وخُيُولا
لا تخجلي منّي، فهذي فُرْصتي

قــولي أحبــك

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

قولي (أحبك).. كي تزيد وسامتي
فبغير حبك لا أكونُ جميلاً..
قولي (أحبك) كي تصير أصابعي
ذهباً.. وتصبح جبهتي قنديلا
قولي (أحبك) كي يتم تحولي
فأصير قمحاً، أو أصير نخيلا
الآن قوليها؟ ولا تترددي
بعض الهوى لا يقبل التأجيلا

* * *

سأغير التقويم لو أحببتني
أمحو فصولاً أو أضيف فصولا
وسينتهي عصر الحريم على يدي
وأقيم مملكة النساء بديلا..
ملك أنا لو تصبحين حبيبتي
أغزو الشموس مراكباً وخيولا
لا تخجلي مني فهذي فرصتي
لأكون بين العاشقين جميلا.

المـطـــر

أخافُ أن تُمْطِرَ الدنيا، ولستِ معي
فمنذ رُحْتِ، وعندي عُقْدَةُ المَطَرِ..
كان الشتاءُ يُغَطّيني بمعطفِه
فلا أُفكِّرُ في بَرْدٍ، ولا ضَجَرِ
وكانت الريحُ تعوي خلفَ نافذتي
فتهمسينَ: «تَمَسَّكْ.. ها هُنا شَعَري..»
والآن أجلسُ، والأمطارُ تَجلِدُني
على ذراعي، على وجهي، على ظَهَري
فَمَنْ يدافعُ عنّي، يا مسافِرَةً،
مثلَ اليَمَامة، بينَ العين والبَصَرِ؟
وكيفَ أمحوكِ من أوراقِ ذاكرتي؟
وأنتِ في القلبِ مثلَ النَقْشِ في الحَجَرِ
أنا أُحِبُّكِ.. يا مَنْ تسكنين دمي
إنْ كنت في الصينِ، أو إنْ كنتِ في القَمَرِ
ففيكِ شيءٌ من المجهولِ أدخُلُهُ
وفيكِ شيءٌ من التاريخِ والقَدَرِ..

من ديوان «أشهد أن لا امرأة إلاَّ أنتِ» ١٩٧٩

المطـــر

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

أخاف أن تمطر الدنيا، ولست معي
فمنذ رُحت، وعندي عقدة المطر
كان الشتاء يغطيني بمعطفه
فلا أفكر في بردٍ، ولا ضجر
وكانت الريح تعوي خلف نافذتي
فتهمسين: «تمسك.. ها هنا شعري»
والآن أجلس، والأمطار تجلدني
على ذراعي، على وجهي، على ظهري
فمن يدافع عني، يا مسافرةً؟
مثل اليمامة، بين العين والبصر؟
وكيف أمحوك من أوراق ذاكرتي
وأنت في القلب مثل النقش في الحجر
أنا أحبك.. يا من تسكنين دمي
إن كنت في الصين، أو إن كنت في القمر.

أحبكِ.. أحبكِ.. وهذا توقيعي

١

هل عندكِ شَكٌّ أنَّكِ أحلى امرأةٍ في الدُنيا؟.
وأهَمُّ امرأةٍ في الدُنيا؟.
هل عندكِ شكٌّ أنّي حين عثرتُ عليكِ..
ملكتُ مفاتيحَ الدُنيا؟.
هل عندكِ شكٌّ أنّي حين لَمَستُ يَدَيْكِ
تغيَّر تكوينُ الدنيا؟
هل عندكِ شكّ أن دخولَكِ في قلبي
هو أعظمُ يومٍ في التاريخ..
وأجملُ خَبَرٍ في الدُنيا؟.

* * *

هل عندكِ شَكٌّ في مَنْ أنتْ؟
يا مَنْ تحتلُّ بَعينَيْها أجزاء الوقتْ
يا امرأةً تكسُر، حين تمرُّ، جدارَ الصوتْ
لا أدري ماذا يحدث لي؟
فكأنَّكِ أنثاي الأُولى
وكأنّي قَبْلَكِ ما أحْبَبْتْ
وكأنّي ما مارستُ الحُبَّ.. ولا قبَّلتُ لا قبَّلتْ
ميلادي أنتِ.. وقَبْلَكِ لا أتذكّرُ أنّي كُنتْ

وغطائي أنتِ.. وقَبْلَ حنانكِ لا أتذكّرُ أنّي عِشْت
وكأنّي أيّتها الملكَهْ..
من بطنكِ كالعُصْفُور خَرَجتْ...

٣

هل عندكِ شَكٌّ أنّكِ جزءٌ من ذاتي
وبأنّي من عَيْنَيْكِ سرقتُ النارَ..
وقمتُ بأخطر ثَوْرَاتي
أيّتها الوردةُ.. والياقُوتَةُ.. والرَيْحَانةُ..
والسلطانةُ..
والشَعْبيَّةُ..
والشَرْعيَّةُ بين جميع المِلكَاتِ..
يا سَمكاً يَسْبَحُ في ماء حياتي
يا قَمَراً يطلع كلَّ مساءٍ من نافذة الكلِمَاتِ..
يا أعظمَ فَتْحٍ بين جميع فُتُوحاتي
يا أخرَ وطنٍ أُولَدُ فيهِ..
وأُدْفَنُ فيه..
وأنْشُرُ فيه كِتَاباتي..

٤

يا امْرأة الدَهْشةِ.. يا امرأتي
لا أدري كيف رماني الموجُ على قَدَمَيْكْ
لا أدري كيف مَشَيْتِ إليَّ..

وكيفَ مَشَيْتُ إليكْ..
يا مَنْ تتزاحمُ كلُّ طُيُور البحرِ..
لكي تَستوطنَ في نَهْدَيْكْ..
كم كان كبيراً حظّي حين عثرتُ عليكْ..
يا امرأةً تدخُلُ في تركيب الشعرِ..
دافئةٌ أنتِ كرمل البحرْ..
رائعةٌ أنتِ كليلة قَدْرْ..
من يوم طرقتِ البابَ عليَّ.. ابتدأ العُمرْ..

٥

كم صار جميلاً شِعْري..
حين تثقّفَ بين يديكْ..
كم صرتُ غنيّاً.. وقويّاً..
هل عندكِ شَكٌّ أنّكِ قَبَسٌ من عَيْنَيّ
ويداكِ هما استمرارٌ ضوئيٌّ ليَدَيّ..
هل عندكِ شَكٌّ..
أنّي فيكِ.. وأنَّكِ فيّ؟؟

٦

يا ناراً تجتاحُ كياني
يا ثَمَراً يملأ أغصاني
يا جَسَداً يقطعُ مثل السيفِ،
ويضربُ مثلَ البركانِ

يا نهداً.. يعبقُ مثلَ حقول التَبْغِ
ويركُضُ نحوي كحصانِ..
قولي لي:
كيف سأُنقذُ نفسي من أمواج الطُوفَانِ..
قُولي لي:
ماذا افعلُ فيكِ؟ أنا في حالة إدْمَانِ..
قولي ما الحلُّ؟ فأشواقي
وصلَتْ لحدود الهَذَيانِ...

٧

يا ذاتَ الأنْف الإغْريقيِّ..
وذاتَ الشَعْر الإسْبَاني
يا امْرأةً لا تتكرَّرُ في آلاف الأزمانِ..
يا امْرأةً ترقصُ حافيةَ القَدَمَيْنِ بمدْخَلِ شِيرْياني
من أينَ اتَيْتِ؟ وكيفَ اتَيْتِ؟
وكيف عَصَفْتِ بوجداني؟
يا إحدى نِعَمِ الله عليَّ..
وغَيْمَةَ حُبٍّ وحَنَانِ..
يا أغلى لؤلؤةٍ بيدي..
آهٍ.. كم ربّي أعطاني..

هل عندكِ شكٌّ؟!

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

هل عندكِ شَكٌّ أنك أحلى امرأةٍ في الدُنيا؟
وأهم امرأةٍ في الدنيا
هل عندك شك أني حين عثرت عليكِ..
ملكت مفتيحَ الدُنيا؟

* * *

هل عندك شك أني حين لمست يديك
تغير تكوين الدنيا؟
هل عندك شك أن دخولك في قلبي
هو أعظم يوم في التاريخ..
وأجمل خبر في الدُنيا؟

* * *

هل عندك شك أنك جزءٌ من ذاتي
وبأني من عينيك سرقتُ النارَ..
وقمت بأخطر ثوراتي
أيتها الوردة.. والياقوتة.. والريحانة
والسلطانة..

والشعبية
والشرعية بين جميع الملكات
يا سمكاً يسبح في ماء حياتي
يا قمراً يطلع كل مساءٍ، من نافذة الكلمات
يا أعظم فتح بين جميع فتوحاتي
يا آخر وطن أولد فيه
وأُدفن فيه
وأنشر فيه كتاباتي
لا أدري كيف رماني الموج على قدميك
لا أدري كيف مشيت إليَّ. .
وكيف مشيت إليك
كم كان كبيراً حظي حين عثرت عليك
من يوم طرقت الباب علي. . ابتدأ القُمر
كم صار جميلاً شعري
حين تثقف بين يديك

* * *

يا نار تجتاح كياني
يا ثمراً يملأ أغصاني
يا جسداً يقطع السيف؟
ويضرب مثل البركانِ

قولي ما الحلُّ

أنا في حالة إدمان

قولي ما الحلُّ، فأشواقي

وصلت لحدود الهذيانِ

القصيدة المتوحشة

أحِبِّيني.. بلا عُقَدِ
وضيعي في خُطُوطِ يدي
أحِبِّيني.. لأسبوعٍ.. لأيّامٍ.. لساعاتِ..
فلستُ أنا الذي يهتمُّ بالأبَد..
أنا تشرينُ.. شهرُ الريح،
والأمطارِ.. والبَرَد..
أنا تشرينُ.. فانْسَحِقي..
كصاعقةٍ على جَسَدي..
أحِبِّيني..
بكلِّ توحُّشِ التَتَرِ..
بكلِّ حرارةِ الأدغالِ
كلِّ شَراسَةِ المَطَرِ
ولا تُبْقي ولا تَذَري..
ولا تتحضَّري أبداً..
فقد سَقَطَتْ على شَفَتَيْكِ
كلُّ حَضَارةِ الحَضَرِ
أحِبِّيني..

كزلزالٍ.. كموتٍ غير مُنتَظَرِ....
يهاجمُني.. كذئبٍ جائعٍ خَطِرِ
وينهشني.. ويضربني..
كما الأمطارُ تضربُ ساحلَ الجُزُرِ..

*

أحِبّيني.. ولا تتساءَلي كَيْفما..
ولا تتلعثَمي خَوْفا
أحِبّيني.. بلا شكوى
أيَشكو الغِمْدُ.. إذْ يَستقبلُ السَيْفَا؟
وكُوني البحرَ والميناءَ..
كُوني الأرضَ والمنفى
وكُوني الصحوَ والإعصارَ
كُوني اللينَ والعُنْفَا..
أحِبّيني.. بألفِ وألفِ أسلوبٍ
ولا تتكرّري كالصيف..
إنّي أكرهُ الصيفا..
أحِبّيني.. وقُوليها
لأرْفُضُ أنْ تُحِبّيني بلا صوتِ
وأرفُضُ أن أواري الحُبَّ
في قَبْرٍ من الصَّمْتِ

أحبِّيني.. بعيداً عن بلاد القَهْر والكبْت
بعيداً عن مدينتنا التي شَبعتْ من المَوْت..
بعيداً عن تعصبُّها..
بعيداً عن تخشبُّها..
أحِبِّيني.. بعيداً عن مدينتنا
التي من يوم أنْ كانتْ
إليها الحبُّ لا يأتي..

*

أحِبِّيني.. ولا تَخشَيْ على قَدَميْكِ
- سيِّدتي - من الماء
فلنْ تتعمَّدي امرأةً
وجسمُكِ خارجَ الماءِ
وشَعْرُكِ خارجَ الماءِ
لا يحيا بلا ماءِ..
أحِبِّيني.. بطُهْري.. أو بأخطائي
بصَحْوي.. أو بأنوائي
وغَطِّيني..
أيا سَقْفاً من الأزهارِ
يا غَابَاتِ حنَّاءِ..
تَعَرَّيْ

واسْقُطي مَطَراً
على عَطَشي وصحرائي..
وذُوبي في فمي.. كالشَمْع
وانْعَجِني بأجْزَائي
تَعَرَّيْ.. واشْطُري شَفَتي
إلى نِصْفَيْنِ.. يا مُوسَى بسيناءِ..

من ديوان «قصائد متوحشة» ١٩٧٠

أحبيني

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

أحبيني.. بلا عقد
وضيعي في خطوط يدي
أحبيني لأسبوع.. لأيام.. لساعاتٍ
فلست أنا الذي يهتم بالأبد

* * *

أنا رجل بلا قدر
فكوني.. أنت لي قدري
أحبيني.. ولا تتساءلي كيفما
ولا تتلعثمي خجلا
ولا تتساقطي خوفا
وكوني البحر والميناء
كوني الأرض والمنفى
وكوني الصحو والاعصار
كوني اللين والعنفا

* * *

أحبيني.. بطهري أو بأخطائي
بصحوي.. أو بأنوائي

وخطيني . .
أيا سقفاً من الأزهار
يا غابات حناء .

يَـــــد

يدُكِ التي حطَّتْ على كَتِفي
كحمامةٍ.. نَزَلَتْ لكيْ تشربْ
عندي تُساوي ألفَ مملكةٍ
يا ليتَها تبقى ولا تذهبْ
تلك السبيكةُ.. كيف أرفُضُها؟
من يرفُضُ السكنى على كوكَبْ؟
لهثَ الخَيَالُ على مَلاَسَتِها
وانهارَ عند سوارها المُذْهَبْ
الشمسُ.. نائمةٌ على كَتِفي
قبَّلْتُها ألفاً ولم أتْعَبْ
نَهْرٌ حريريٌّ.. ومَرْوَحَةٌ
صينيَّةٌ.. وقصيدةٌ تُكْتَبْ..
يَدُكِ المليسَةُ. كيف أقْنعُها
أنِّي بها.. أنِّي بها مُعْجَبْ..
قولي لها.. تمضي برحلتها
فلها جميعُ.. جميعُ ما ترغبْ
يدُكِ الصغيرةُ.. نَجْمةٌ هَرَبَتْ
ماذا أقولُ لنَجْمةٍ تلعبْ؟
أنا ساهرٌ.. ومعي يدُ امرأة
بيضاءُ.. هل أشهى وهل أطْيَبْ؟

يـــدكِ

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

يدكِ التي حطت على كتفي
كحمامةٍ.. نزلت لكي تشرب
عندي تساوي ألف مملكةٍ
ياليتها تبقى ولا تذهب
تلك الجميلة.. كيف أرفضها
من يرفض السكنى على كوكب؟
الشمس.. نائمة على كتفي
قبلتها ألفاً ولم أتعب
يدك المليسة. كيف أقنعها
أني بها.. أني بها معجب
قولي لها.. تمضي برحلتها
فلها جميع.. جميع ما ترغب
يدك الصغيرة.. نجمة هربت
ماذا أقول لنجمة تلعب
أنا ساهر.. ومعي يد امرأةٍ
بيضاءُ.. هل أشهى وهل أطيب؟

أحِبّكِ..أحِبّكِ.. والبقية تأتي

حديثُكِ سُجَّادةٌ فارسيَّهْ..
وعيناكِ عُصفورتانِ دمشقيّتانِ..
تطيرانِ بين الجدار وبين الجدارْ..
وقلبي يسافرُ مثل الحمامة فوقَ مياه يديكِ،
ويأخُذُ قَيْلُولةً ظلِّ لسِّوارْ..
وإنِّي أُحِبُّكِ..
لكنْ أخافُ التورُّطَ فيكِ،
أخافُ التوحُّدَ فيكِ،
أخافُ التقُّمصَ فيكِ،
فقد علَّمتْني التجاربُ أن أتجنَّب عشقَ النساءِ،
وموجَ البحارْ..
أنا لا أناقش حبَّكِ.. فهو نهاري
ولستُ أناقشُ شمسَ النهارْ
أنا لا أناقش حبَّكِ..
فهو يقرِّرُ في أيِّ يوم سيأتي.. وفي أيِّ يومٍ سيذهبُ.
وهو يحدّدُ وقتَ الحوارِ، وشكل الحوارْ..

* * *

دعيني أصبُّ لكِ الشايَ،
أنتِ خرافيَّةُ الحسنِ هذا الصباحَ،
وصوتُكِ نَقْشٌ جميلٌ على ثوب مراكشيّهْ
وعِقْدُكِ يلعبُ كالطفل تحت المرايا..
ويرتشفُ الماءَ من شفة المزهريَّهْ
دعيني أصبُّ لكِ الشايَ، هل قلتُ إنّي أُحِبُّكِ؟
هل قلتُ إنّي سعيدٌ لأنّكِ جئتِ..
وأنَّ حضورَكِ يُسْعِدُ مثلَ حضور القضيدَهْ
ومثلَ حضورَ المراكبِ، والذكرياتِ البعيدَهْ..

* * *

دعيني أُترجمُ بعضَ كلام المقاعدِ وهي تُرحِّبُ فيكِ..
دعيني، أعبِّرُ عمّا يدورُ ببال الفناجين،
وهي تفكّرُ في شفتيك..
وبالِ الملاعق، والسُكَّريَّهْ..
دعيني أُضيفُكِ حرفاً جديداً..
على أحرُفِ الأبجديَّهْ..
دعيني أُناقضُ نفسي قليلاً
وأجمعُ في الحُبّ بين الحضارة والبربريَّهْ

* * *

- أأعجبِ الشايُ؟
- هل ترغبينَ ببعض الحليبِ؟

- وهل تكتفينَ - كما كنتِ دوماً - بقطعةِ سُكَّرْ؟
- وأمّا أنا فأفضّلُ وجهكِ من غير سُكَّرْ..

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

أُكرّرُ للمرَّة الألفِ أنّي أُحِبُّك..
كيف تريدينني أن أفسِّرَ ما لا يُفَسَّرْ؟
وكيف تريدينني أن أقيسَ مساحةَ حزني؟
وحزنيَ كالطفل.. يزدادُ في كلِّ يوم جمالاً ويكبرْ..
دعيني أقولُ بكلِّ اللغات التي تعرفينَ ولا تعرفينَ
أُحِبُّكِ أنتِ..
دعيني أفتّشُ عن مفرداتٍ..
تكون بحجم حنيني إليكِ..
وعن كلماتٍ.. تغطّي مساحةَ نهديكِ..
بالماء، والعُشْب، والياسمينْ
دعيني أفكّرُ عنكِ..
وأبكي، وأضحكُ عنكِ..
وأُلغي المسافةَ بين الخيال وبين اليقينْ..

* * *

دعيني أنادي عليكِ، بكلِّ حروف النداءِ..
لعلّي إذا ما تَغَرْغَرْتُ باسْمِكِ، من شفتي تُولدينْ

دعيني أؤسّسُ دولةَ عشقٍ . .
تكونينَ أنتِ المليكةَ فيها . .
وأصبحُ فيها أنا أعظمَ العاشقيّنْ . .
دعيني أقودُ انقلاباً . .
يوطّدُ سلطةَ عينيكِ بين الشعوبِ،
دعيني . . أغيّرُ بالحبِّ وجهَ الحضارةِ . .
أنتِ الحضارةُ . . أنتِ التراث الذي يتشكّلُ في باطن الأرض
منذ ألوف السنينْ . .

* * *

أُحبُّكِ . .
كيفَ تريديني أن أبرهنَ أنّ حضوركِ في الكون،
مثل حضور المياهِ،
ومثل حضور الشَجَرْ
وأنّكِ زهرةُ دوّار شمسٍ . .
وبستانُ نخْلٍ . .
وأُغنيةٌ أبحرتْ من وَتَرْ
دعيني أقولُك بالصمتِ . .
حين تضيقُ العبارةُ عمّا أعاني . .
وحين يصير الكلامُ مؤامرةٌ أتورّط فيها .
وتغدو القصيدةُ آنيةً من حَجَرْ . .

* * *

دعيني . .
أقولُكِ ما بين نفسي وبيني . .
وما بينَ أهداب عيني، وعيني . .
دعيني . .
أقولكِ بالمرمزِ، إن كنتِ لا تثقينَ بضوء القمرْ.
دعيني أقولُكِ بالبرْقِ،
أو يرَذَاذَ المَطَرْ . .
دعيني أُقدّمُ للبحر عنوانَ عينيكِ . .
إن تقبلي دعوتي للسفَرْ . .
لماذا أُحبُّك؟
إنَّ السفينةَ في البحر، لا تتذكَّرُ كيف أحاط بها الماءُ . .
لا تتذكّرُ كيف اعتراها الدُوارْ . .
لماذا أُحبّكِ؟
إنَّ الرصاصةَ في اللحم لا تتساءلُ من أينَ جاءتْ . .
وليست تُقدِّمُ أيَّ اعتذارْ . .

* * *

لماذا أُحبُّك . . لا تسأليني . .
فليسَ لديَّ الخيارُ . . وليس لديكِ الخيارْ . .

وإني أحـــبـــك

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

وإني أحبك . . لكني أخاف التورط فيك
التلق فيك . . التوحد فيك
وإني أحبك
. . فقد علمتني التجارب
أن إتجنب عشق النساء وموج البحار
. . . وإني
دعيني أصب لك الشاي
أنت خرافية هذا الصباح
دعيني أترجم بعض كلام المقاعد وهي ترحب فيك
دعيني أعبر عن ما يدور ببال الفناجين
وهي تفكر في شفتيك
. . أأعجبك الشاي
وهل تكتفين كما كنت دوماً بقطعة سكر
أما أنا فأفضل وجهك من غير سكر
دعيني أقول بكل اللغات التي تعرفين ولا تعرفين
أحبك أنت . . أحبك أنت

دعيني أفكر عنك.. وأشتاق عنك
وأبكي وأضحك عنك
وألغي المسافة بين الخيال وبين اليقين
دعيني أنادي عليك بكل حروف النداء
لعلي إذا ما تغنيت باسمك من شفتي تولدين
دعيني أؤسس دولة عشق.. دولة عشق
دولة عشق تكونين أنت المليكة فيها
وأصبح أنا.. أنا.. أنا
أعظم العاشقين
... وإني أحبك.

تحـــركي

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: كاظم الساهر

وتحركي خطوة يا نصف عاشقة
فلا أريد أنا أنصاف عشاق
إن الزلازل طول الليل تضربني
وأنت واضعة ساق على ساق
وأنت آخر من تعذبه مشكلتي
ومن شاركني حزني وإرهاقي
تحركي
تبللي مرة بالماء أوبدمي
وجربي الموت يوماً فوق أحداقي
إن الزلازل طول الليل تضربني
وأنت واضعة ساقي على ساق
أمن تجارب حبي أنت خائفة
أم من تعصب لأفكاري وأشواقي
لا تحسبي أن احساس يناقضني
فإن قلبي طفولي كأخلاقي
إن الزلازل طول الليل تضربنى
وأنت واضعة ساق على ساق

لماذا تخليت عني ؟!

جاء أحد البلابل المصرية في عصر «جليد» الغناء ليختار القصائد الأكثر حزناً في تاريخ نزار قباني ويمنحها شفتيه.

جاءت غادة رجب بشجن صوتها لتمنح القصائد دفئاً يفوق دفئها ووحدة أكثر مما في قصة تلك الحبيبة التي تخلى عنها حبيبها دون مبرر وجعلها تتساءل عن سر تخليه عنها دون أن تجد إجابة، لكن القصيدة لم تحقق الجماهيرية المتوقعة ورغم توفر كل العناصر النجاح لها من كلمات وصوت ولحن.. ولكن يبدو أن عنصر النجاح قد يتحول إلى فشل إذا تكرر.. وكاظم الساهر تتشابه في تلحين هذه القصيدة مع أعماله الأخرى التي لحنها وغناها بنفسه.

لِمَـــــاذا؟

لمـــاذا تـخـلّـيـتَ عـنّـي؟
إذا كـنـتَ تـعـــــــرف أنّـي
أحـــــبُّـكَ أكـــثـــرَ منّي
لـمـــــاذا؟

*

لـمـــــاذا؟
بـعـــــيـنيـكَ هـذا الوجـــــومْ
وأمـسِ يـحـــــــضـنِ الـكـرومْ
فـــــرطتّ ألـوفَ الـنجـــــومْ
بـــــــــدربـــــــــي
وأخـــــبـــــرتني أن حُـــــبّي
يـــــــــــــــــــدومْ
لـمـــــاذا؟

*

لـمـــــاذا؟

تُـغـــــــرِّر قلـبـي الصـــــــبيّ
لمـاذا كـــــــــــذبـتَ عـلـيّ
وقـلـــتَ تـعـــــــــــودُ إلـيّ
مـع الأخْـــــــضَـــــــرِ الـطالـعِ
مـــــع المـــوســـــم الـــراجـــعِ
مـع الحـــــــــــقـــل والـزارعِ
لـمـــــــاذا؟

*

لـمـــــــاذا؟
مـنـحـتَ لـقـلـبـي الـهـــــــــواءْ
فـلـمّـــــــــا أضـــــــــاءْ
بحـبٍّ كـــعـــــرض الـســـمـــــاءْ
ذهـبـتَ بـركـــب المســـــــــاءْ
وخـلَّفـتَ هذي الـصـــــديـقـــــهْ
هنـا.. عند ســـــور الحـــــديقـــــهْ
علـى مـــــقـــــعـــــدٍ من بُـكاءْ
لـمـــــــاذا؟

*

لـمـــــــاذا؟
تعـــــود السُّـنُونـو إلى سـيـــــقـــــفـنا

وينمـــو البنـفـــسجُ في حَـــوْضـنا
وتُرقَـص في الضَّـــيْـعـــة المِيْـجَـنا
وتـضـــــــــحـكُ كـــلُّ الـدُنـا
مـع الـصـــــــــيـف، إلاّ أنـا..
لـمـــــــاذا؟

لمـــــــاذا؟

كلمات: نزار قباني

ألحان: كاظم الساهر

غادة: غادة رجب

لماذا؟ تخليت عني
إذا كنت تعلم أني
أحبك أكثر مني
لماذا؟
لماذا بعينيك هذا الوجوم
وأمس بحضن الكروم
فرطت ألوف النجوم بدربي
وأخبرتني أن حبي يدوم. . لماذا؟
لماذا تغرر قلبي الصبي
لماذا كذبت عليّ. . لماذا؟
لماذا منحت لقلبي الهواء
فلما أضاء
بحب كعرض السماء
ذهبت بركب المساء. . لماذا؟
وخلفت هذي الصديقه

عند سور الحديقه

على مقعد من بكاء؟

لماذا؟

خالد الشيخ.. ونهر الاحزان

نهر الأحزان

عَـــيْنَاكِ.. كَنَهْـــرَيْ أحـــزانِ
نهـــريْ مـوســيــقى. حَـمَـلاني
لـوراءِ، وراءِ الأزمـــــــــانِ
نَهْـــرَيْ مـوسـيـقى، قـد ضـاعـا
سـيِّـــدتي.. ثُمَّ أضـــاعـــاني
الدمـعُ الأســودُ فـــوقـهُـمَـا
يتـــســـاقطُ أنغـــامَ بِيـــانِ..

*

عَـــيْنَاكِ. وتَبْـــغي. وكُـــحُـــولي
والقَـــدَحُ العـــاشـــرُ أعـــمـــاني
وأنا في المـقـعـــد.. مـحـــتـــرقٌ
نـيـــــــراني تـأكُـلُ نيـــــــراني
أأقـــولُ أحِـــبُكِ.. يا قَـــمَـــري؟
آهٍ.. لـو كـــــــانَ بـإمـكـانـي
فـــــأنا لا أمـلكُ فـي الـدنيـــــا
إلاَّ عَـــــــيْنَـيْـكِ وأحـــــزانـي..

سُـــــقْني فـي المرفـــــأ باكـــيـــــةً
تتـــــمـــــزَّقُ فـــــوقَ الخلجـــــانِ
ومـــصـــيـــــري الأصـــفـــرُ حطَّـمني
حـطَّـمَ فـي صـــــــــدري إيمـانـي
أأســـــــافـــــــرُ دونك لَـيْلَـكَتـي؟
يا صـــيـفي الأخـضـــرَ، يا شـمـــسي
يا أجـــــمـلَ.. أجـــــملَ ألـواني

*

هل أرحـلُ عنـكِ.. وقِـــصَّـــتُـنا
أحلـى من عـــــودةِ نَيْـــســـانِ
أحـلى مـن زهرةِ غـــــاردينيـــــا
في عُـتْـمَـةِ شـــعـــرٍ إسـبـــاني
يا حـــــبِّي الأوحـــــدَ.. لا تبـكي
فـــدمـــوعُـك تحـفـــر وجـــداني
رنّـي لا أمـلـكُ في الـدنـيـــــــا
إلاَّ عـــــــيـنيـك وأحـــــــزانـي

*

أأقـــولُ أُحـــبُّكِ يا قَـــمَـــري؟
آهٍ.. لـو كـــــــــانَ بـإمـكـانـي
فـــأنا إنســـــانٌ مـــفـــقـــودُ

لا أعـــــــرفُ فـي الأرض مـكانـي
ضَـــيَّـــعَني دربـي.. ضَـــيَّـــعَـني
إســـــمي.. ضَـــيَّـــعَـني عُنـواني
تـاريـخـي! مـــــــا لـيَ تـاريـخٌ
إنّي نِـسْـــيَـــانُ النِسْـــيـــانِ

*

إنّـي مـــــرسـاةٌ لا تـرسُـــو
جُـــــرْحٌ بمـلامـح إنسَـــــانِ
مـــاذا أُعـطيكِ؟ أجـــيـــبـــيني
قلـقي؟ إلحـــادي؟ غَـــثَـــيـــاني؟
يـرقـصُ في كـفِّ الـشـــــيـطـانِ
أنا ألـفُ أُحـبُّـكِ.. فـابتـعـــدي
فـــــأنا لا أمـلكُ فـي الـدنيـــــا
إلا عـــــينـيكِ.. وأحـــــزانـي..

من ديوان «حبيبتي» ١٩٦١

نهــر الأحـــزان

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: خالد الشيخ

عيناك كنهري أحزان
نهري موسيقى . . حملاني
لوراءِ، وراء الأزمان
نهري موسيقى قد ضاعا
سيدتي . . ثم أضاعاني
الدمع الأسود فوقهما
يتساقط أنغامَ بيانِ
عيناك وتبغي وكحولي
والقدحُ العاشرُ أعماني
وأنا في المقعد محترقٌ
نيراني تأكلُ نيراني
أأقول أحبك يا قمري
آه لو كان بإمكاني
فأنا لا أملك في الدنيا
إلا عينيك وأحزاني
أأقول أحبك يا قمري؟

آه لو كان بإمكاني
فأنا إنسان مفقود
لا أعرف في الأرض مكاني
ضيعني دربي.. ضيعني
إسمي.. ضيعني عنواني
تاريخي! ما لي تاريخ
إني نسيان النسيان
إني مرساة لا ترسو
جرح بملامح إنسان
ماذا أعطيك سوى قدر
يرقص في كف الشيطان
أنا ألف أحبك.. فابتعدي
عني.. عن ناري ودُخاني
فأنا لا أملك في الدنيا
إلا عينيك.. وأحزاني

موال إلهام المدفعي البغدادي

لأن إلهام المدفعي فنان من طراز خاص وينتمي إلى زمن بللوري لا يعود فقد قام بتلحين وغناء قصيدة موال بغدادي .. وخرج اللحن والأغنية بشكل رائع، لكن لم يحقق لها الانتشار الكبير.. وقد قدم إلهام ألبومه خارج بلده - العراق- وحاول كثيرًا أن تكون كلمات الألبوم كلها على مستوى كبير فاختار نزار قباني ثم مظفر النواب في كلمات عامية ثم كريم العراقي.. وقدم في الألبوم أغاني شعبية رائعة إلى جوار قصيدة «بغداد» فمثلاً هناك أغنية من كلماتها «تريدن مني التفاح، منين أجيب التفاح، يا ريت أصيرن فلاح يزرع ورد وتفاح.

تريدين مني الرمان.. منين أجيبه الرمان، يا ريت أصيرن فلاح يزرع ورد ورمان»...

موّالٌ بغداديّ

مُـــدّي بســـاطيَ.. وامْـــلأي أكـــوابي
وانسي العـتـابَ، فـقد نسيتُ عـتـابي
عَـــيْنَاكِ يا بـغـــدادُ، منـذُ طفـــولـتي
شَـــمْـــسَـــانِ نائمـــتـــانِ فـي أهدابي
لا تُنْكري وجْـهي.. فـأنتِ حـبـيـبـتي
وورودُ مـــائدتي، وكـــأسُ شَـــرَابي
بغـدادُ.. جـئـتُك كـالسـفينـة مُتْـعَـبـاً
أُخـــفـي جـــراحـــاتي وراءَ ثيـــابي
ورَمَـيتُ رأسـي فـوق صـدر أمـيـرتي
وتلاقَتِ الـشَـفَـتـانِ بعـد غـيـابِ
أنا ذلـك البَـحَّـارُ أنفـقَ عُـمْـرَهُ
في البـحث عـن حُبٍّ.. وعن أحـبَـابِ
بغـدادُ.. طِرْتُ على حـرير عـبـاءةٍ
وعلـى ضـفـائـر زينـبٍ ورَبَابِ
وهَبَطْتُ كـالعـصـفـور يقـصُـدُ عُـشَّـهُ
والفَـجْـرُ عُـرْسُ مـآذِنٍ وقِـبَـابِ

حـــتى رأيتُـكِ قطعـــةً من جـــوهرٍ
تـرتـــاحُ بـين الـنَـــخْـل والأعْـــنَـابِ
حـيثُ الْـتَـفَتُّ، أرى مـلامحَ مـــوطني
وأشُـمُّ في هـذا الـتـــــــراب تُرابـي
لم أغْـــتَـــربْ أبداً.. فكُلُّ سَـــحَـــابةٍ
زَرْقـاءَ.. فـيـــهـا كِـبْـرياءُ سَـــحَابي
إنَّ النجـــومَ الســـاكـنات هضـــابكُمْ
ذاتُ النجـــومِ الســـاكنات هضـــابي..
بغـــدادُ عِـــشْتُ الحُـــسْنَ في ألـوانِه
لكنَّ حُـــسْنَكِ، لم يكُنْ بـحـــسابي
مـاذا سـأكـتُبُ عنـكِ في كُـتُب الهـوى
فـــهـواكِ لا يـكفـــيـهِ ألْـفُ كـتـــابِ

*

يغـتـــالُني شِـعْـري.. فكلُّ قـــصـيـدةٍ
تَمْـــتَـــصُّني.. تمـتصُّ زيْتَ شـــبـــابي
الخِنْجَـــرُ الذهبيُّ.. يشـــربُ من دمي
وينامُ فـي لحـــمي، وفي أعـــصـــابي
بَغْـــدادُ! يا هَزْجَ الأســـاور والحُـلَي
يا مـــخـــزنَ الأضـــواء والأطْـيَـاب

لا تـظـلـمـي ورَ الـــرَبّـابـة فـي يـدي
فـــالشـــوقُ أكْـــبَـــرُ من يـدي ورَبّابي
قَـبْلَ اللقـاء الحُلْـو.. كنتِ حـبـيـبـتي
وحـــبـــيـبـــتي تَـبْـقـيـنَ بعـــدَ ذَهَابي

من ديوان «الأعمال السياسية الكاملة» ١٩٩٣

بغـــداد

كلمات: نزار قباني

ألحان وغناء: إلهام المدفعي

مدى بساطي . . واملئي أكوابي
وانسي العتاب، فقد نسيت عتابي
عيناك يا بغداد، منذ طفولتي
شمسان نائمتان في أهدابي
لا تنكري وجهي فأنت حبيبتي
وورود مائدتي، كأس شرابي
بغداد . . جئتك كالسفينة متعبًا
أخفي جراحاتي وراء ثيابي
هبطت كالعصفور يقصد عشه
والفجر يرسم مآذن وقباب
بغداد طرت على الحرير عباءة
وعلى ضفائر زينب ورباب
لا تظلمي . . وترد الربابة في يدي
فالشوق أكبر من يدي وربابي
ماذا سكبت عنك في كتب الهوا؟
فهواك لا يكفيه ألف كتاب . .

الفهرس

مقدمة 7
سيرة نزار قباني من الطفولة إلى الرحيل 15
أيظن ؟ 27
إلى رجل 35
ماذا أقول له؟ 39
أسالك الرحيلا 44
أم كلثوم: نعم هناك كرامة في الحب يا نزار..!! 52
طريق واحد 54
أصبح الآن عندي بندقية 56
رسالة إلى جمال عبد الناصر 59
عندي خطاب عاجل إليك 65
عبد الحليم يكتب وأنا أغني نزار 67
حوار نادر بين الشاعر والمغني 71
رسالة من تحت الماء 75
لكن لم أعرف أبداً أحزاناً تشبه أحزانك!!.. 81
قارئة الفنجان 85
وزعمت لي أن الرفاق أتوا إليك 91
رسالة من سيدة حاقدة 93
رسالة إلى امرأة 96
قد كتبنا وأرسلنا المراسيلا 99
موال دمشقي 101
حبيبي 104

لا تسألوني 106
وشاية 107
ماجدة الرومي تهرب بالحب من صقيع الـ «تيك أواي»! 109
كلمات 113
مع جريدة 117
يا ست الدنيا يا بيروت.. 120
طوق الياسمين 128
إغضب.. فأنت رائع حقاً متى تثور 135
إغضب 135
بين نزار وشادية.. والسنباطي 143
من يحمل الألعاب للأولاد في ليلة الميلاد؟! 149
كاظم الساهر ولطيفة يحققان حلم السنباطي 155
أعنف حب عشته 158
تلومني الدنيا 160
القدس 162
من ينقذ الإنسان؟ 164
عندما نعشق ماذا يعترينا؟ 165
علمني حبك أن أتصرف كالصبيان 167
اختاري 169
..... أن لا امرأة إلا أنت 178
جسمك خارطتي 180
زيديني عشقاً 183
قصيدة الحزن 186
مدرسة الحب 191
أحبك جدا 193

صباحك سكر 198
أكرهها 201
إلى تلميذة 202
قصيدة التحديات 206
كل عام وأنت حبيبتي.. 212
قولي أحبك 223
المطر 225
أحبك.. أحبك.. وهذا توقيعي 227
هل عندك شكٌ؟! 231
القصيدة المتوحشة 234
أحبيني 238
يـــــد 240
أحبك.. أحبك.. والبقية تأتي 242
وإني أحبك 247
تحركي 249
لماذا تخليت عني 250
خالد الشيخ.. ونهر الأحزان 256
موال إلهام المدفعي البغدادي 261
موال بغدادي 262
بغداد 265
الفهرس 267

سامي كمال الدين

- مواليد ٨ / ٥ / ١٩٧٨
- حاصل على ليسانس الآداب قسم الصحافة من جامعة جنوب الوادي - فرع سوهاج عام ٢٠٠١
- يعمل في مؤسسة الأهرام (مجلة الأهرام العربي)
- عضو نقابة الصحفيين المصرية
- عمل أثناء دراسته الجامعية في عدة مطبوعات ومنها الجيل القاهرة وسطور والراية وصوت الأمة والصدى .
- أصدر أثناء دراسته الجامعية كتاب «حوارات من جنوب الوطن المنسي» ويتضمن حوارات صحفية مع معظم كتاب وأدباء الجنوب.
- عمل عام ٢٠٠١ في مجلة نصف الدنيا
- حصل على جائزة التفوق الصحفي الأولى من نقابة الصحفيين عام ٢٠٠٤ عن كتابه عن الفنانة شادية الصادر مع مجلة نصف الدنيا عام ٢٠٠٣ .
- أصدر كتاب «أيام مع الولد الشقي» وهو لقاءات ومسيرة حياة للكاتب الكبير محمود السعدني.
- انفرد بحوار مع خط الصعيد الذي كان متهماً بقتل ١٥٠ شخصاً وزراعة الافيون واستطاع لقاؤه رغم محاولات الشرطة المستميتة في القبض عليه، لكنه التقاه وجلس معه وجرى حديثاً والتقط معه عدة صور نشرت في مجلة الأهرام العربي في ١٤ / ١ / ٢٠٠٤
- تم تكريمه في صالون غازي الثقافي العربي عام ٢٠٠٥ مع مجموعة من الوزراء والكُتَّاب والفنانين ومنهم لينين الرملي وصلاح طاهر ود. عبد الحميد حسن وخالد المالك رئيس تحرير جريدة الجزيرة السعودية ورائد الفن التشكيلي السعودي سعيد رضوي والدكتور عبد العزيز حمودة والشاعر السعودي منصور الحازمي والمفكر عبد الرحمن بن محمد الرفاعي وعبد الفتاح بومدين وخالد الزوادي سفير مملكة البحرين
- الموقع الالكتروني:

Samy _ 585@ yahoo.com

- تحت الطبع

- رسائل المشاهير
- يوميات الرئيس محمد نجيب